موسوعة المشاهير

موسوعة شاملة لأعلام ومشاهير الرجال والنساء فى الشرق والغرب .. قديمًا وحديثًا

الكتاب الأول

مجدى سيد عبد العزيز

موسوعة المشاهير

الكتاب الأول

بسم الله الرحمن الرحيم
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
صدق الله العظيم

DAR AL AMEEN
طبع • نشر • توزيع
القاهرة : ١٠ ش بستان الدكة من ش الألفى (مطابع سجل العرب)
تليفون : ٩٣٢٧٠٦
ص.ب : ١٣١٥
العتبة ١١٥١١
الجيزة : ١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش بالهرم
---
٨ ش أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة
تليفون : ٣٤٧٣٦٩١
ص.ب : ١٧٠٢
العتبة ١١٥١١

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

رقم الإيداع ٥٤٤٨/ ١٩٩٥
I.S.B.N.
977-279-007-6

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(صدق الله العظيم)

« النحل ٩٧ »

إهـــداء :

- إلى عمر ...

أخى الأكبر .. وصديقى العزيز ..

ورفيق درب القـراءة الطـويل ..

والمجنـــون بالكتب مثـلى ..

تُرى .. إلى أين ستذهب بنا تلك

القــراءة .. وهـذه الكتب ؟ ..

الفهرس

المقـــدمـــة

إن الكتب التى تتناول حياة الأعلام ، أو الشخصيات على اختلافها وتباينها ، هى أفضل وأكثر الكتب إفادة للقارئ .. لماذا ؟ لأننى عندما أقرأ عن علَمٍ ما فإننى لا أقرأ سيرة حياته فقط .. بل أعرف كذلك عصره الذى عاش فيه ، وإسهاماته ، وبصماته التى تركها للإنسانية .

خذ مثال .. الأستاذ العقاد ، ذلك الرجل الموسوعى ، إنك تعرف – بعد استعراض تاريخ حياته – كيف أنه نشأ فقيراً ، ولم يكن من الموسرين ، وكيف أنه ثقف نفسه بنفسه ، وقرأ آلاف الكتب ، وبالعزم والإصرار ، أصبح عملاقًا فكريا يحتل مكان الصدارة بين أدباء ومفكرى عصره ؛ مع أنه لم يكن يحمل إلا الشهادة الابتدائية فقط !! .. وبجانب حياته تلك .. تعرف أيضًا المعارك الأدبية والسياسية ، التى خاضها وشارك فيها ضد ومع معاصريه من الأدباء والسياسيين ، أو غيرهم .. ومن كل ذلك تستطيع أن ترسم صورة له ، وللعصر الذى كان يعيش فيه .

ومثالاً آخر .. العلاّمة أحمد تيمور باشا ، ماذا بعد أن تعرف أنه كان فى وقتٍ ما « صاحب أكبر مكتبة خاصة فى مصر » ؟ .. وكيف أنه كان راهبًا فى محراب الكتب .. ألا يدفعك هذا للاقتداء به ، والشغف بالقراءة ؟ !

ونموذجًا ثالث .. توماس أديسون ، ذلك المخترع الأمريكى الفذ ، الذى لم يعرف التاريخ مخترعًا مثله ، أنجز كل هذا الكم من الاختراعات ، التى تزيد عن الألف ! كيف أوتى كل تلك العبقرية ؟ وكل هذا الجهد الدؤوب المتواصل ؟ .. مع أنه عاش يعانى من ضعف فى السمع طيلة حياته ! .

وليس شرطًا أن نقتدى بكل علَمٍ من الأعلام .. إذ ماذا فى حياة كريستوفر كولمبس لنقتدى به .. وهو الذى ذبح الهنود الحمر عند اكتشافه لأمريكا ، وعاملهم بكل قسوة ووحشية ؟ .

وما هى القدوة التى ترشدنا إليها حياة راسبوتين ، ذلك الشيطان المقدس ؟ بالطبع لا قدوة من هذا أو ذاك ؛ ولكن يكفينا العلم بحياتهما ، والدور الذى لعباه .

وفى هذا الكتاب ، عرضت ترجمة لحياة ثلاثين علمًا ، من الشرق والغرب ، وليس ذلك تأريخًا لهم ؛ بل تعريفًا موجزًا لحياة كل منهم .. وبرغم كون التعريف موجزًا ، إلا أنه قد جاء مكثفًا أيضًا ، بحيث يمكننا أن نلم بالكثير عن حياة كل شخصية وآثارها .. وقد راعيت فى اختيارى لهم أن يكونوا

أولاً : من المشاهير المعروفين .

وثانيًا : أن يكونوا متنوعين .. ففيهم القادة ، والمفكرون ، والأدباء ، والمخترعون ، والفلاسفة ، والشعراء ، والموسيقيون .. وغيرهم .

وثالثًا : أننى لم أغفل ذكر النساء هنا ، فالتاريخ به الكثير من هؤلاء العظيمات .

ورابعًا : أننى أردت أن أعيد هنا ذكر أناس ربما لا يأتى ذكرهم فى كثير من كتب التراجم أو التاريخ ، وخاصة فى عالمنا العربى ، أمثال : العلاّمة أحمد تيمور باشا ، والدكتور أحمد زكى .

وأعود مرة أخرى إلى تلك « القدوة » التى نأخذها من قراءاتنا أو دراستنا للأعلام ، فأذكر أن القدوة الخالصة والأكيدة هى التى نستمدها

من سيرة حياة خير البشر على الاطلاق ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو القدوة الحسنة ، ليس لكل مؤمن فقط ؛ بل لكل البشر أيضًا ، فقد قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا »(١) .. ثم هناك القدوة التابعة أو اللاحقة ، وهى قدوة الصحابة الأجلاء - رضى الله عنهم - فقد كانوا « ملائكة البشر » ومعهم يحس المرء بالإنسانية الخالصة والوفاء التام .. ولعل القارىء يتساءل : ولماذا إذًا لم أترجم للصحابة فى هذا الكتاب ؟ .. والجواب هو أننى لا أريد أن أخلط بينهم وبين غيرهم .. فمن الأفضل أن يُفرد لهم كتاب خاص يجمعهم معًا .. ولعل ذلك يتيسر لى فى وقت لاحق ، إن شاء الله تعالى ..

وأخيرًا .. أدعو القارىء إلى أن يتوسع فى القراءة عن حياة كل شخصية فى هذا الكتاب ، إن استطاع ، عسى أن يجد فيها شيئًا - كما ذكرت - يقتدى به فى حياته ، كما وجدت أنا فى العقاد وغيره .

إنها جولة ممتعة ، وذات فائدة عظيمة ، قضيتها مع هذه النماذج البشرية .. فهل تستمتع أنت أيضًا بها ؟ .. أرجو ذلك .

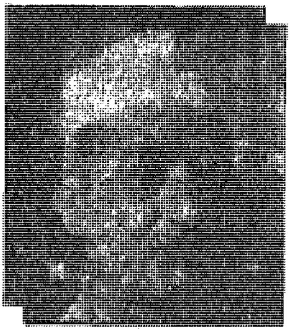
مجدى سيد عبد العزيز
مدينة ١٥ مايو
فى يناير ١٩٩٥

---

(١) الأحزاب ٢١ ..

« تاريخ حياة الناس
هو أصدق التواريخ ».

توماس كارليل



عباس محمود العقاد

(١٨٨٩-١٩٦٤)

رجل لن يتكرر

إنه واحد من أعظم مفكرينا وأدبائنا ومثقفينا على الاطلاق .. كان فيلسوفًا ومفكرًا وشاعرًا ودائرة معارف حية .

اسمه بالكامل عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد .. ولد بمدينة أسوان ظهر يوم الجمعة ٢٨ يونية عام ١٨٨٩ ، وهو نفس العام الذى ولد فيه طه حسين ، وهتلر ، ونهرو ، وشارلى شابلن ، وأرنولد توينبى ، وعبد الرحمن الرافعى ، وجان كوكتو ، وسالازار ، ومارتن هايدجر .. كان جده يشتغل بمصنع حرير بدمياط ، فلقب بالعقاد .. وكان أبوه أمينًا للمحفوظات بمدينة أسوان ، أما أمه فكانت حفيدة لأحد الفرق الكردية التى وجهها محمد على عام ١٨٢١ إلى السودان لتأديب الملك « شندى » .. وقد ورث عنها حبها للصمت والاعتكاف وصلابة الإرادة وقوة الشكيمة وملامح الوجه والقامة الممتدة .

وكان العقاد ابن أبيه من زوجته الثانية ، وأشقاءه هم : فاطمة ، وأحمد ، وياسين ، ومصطفى ، وطاهر .. وقد ورث عن أبيه الترتيب وحسن النظام .

تلقى مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن فى أحد الكتاتيب .. حتى إذا بلغ السابعة من عمره التحق بمدرسة أسوان الابتدائية ، حيث ظهرت ملامح ذكائه وفطنته واعتزازه بكيانه وشخصيته .

وكان لدى والده مكتبة تتكون من كتب الفرائض والعبادات وبعض كتب التاريخ ، لا سيما السيرة النبوية وتراجم الأولياء والصالحين ، وأعداد صحيفة « الأستاذ » و« اللطائف » وصحيفة « العروة الوثقى » للأفغاني ومحمد عبده .. وكان بيتهم ملتقى بعض الشيوخ والأدباء والمتفقهين الذين يجتمعون مع والده ، وكان حريصاً على وجود العقاد معهم وهو فى السابعة ، فأكسبه ذلك وقاراً وحبب إليه الشعر والأدب بصفة عامة .. كما أتقن الإنجليزية لأن المواد الدراسية كانت تدرس بها وقتها ؛ ولأن أسوان بلد سياحى يفد إليه كثير من الإنجليز السياح والعاملين .

وقد زار الإمام محمد عبده مدرسته ذات يوم ، وقدمت إليه كراسة إنشاء العقاد كأحسن نموذج للكتابة فى شىء صغير ، فأعجب به الإمام إعجاباً شديداً ، وتكهن له بأنه سيكون كاتباً أو أديباً له شأن عظيم .

تخرج العقاد فى المدرسة الابتدائية عام ١٩٠٣ .. ولما لم يجد عملاً ، تطوع بالتدريس فى المدرسة الإسلامية الخيرية بأسوان .. وفى عام ١٩٠٥ استطاع أبوه بما له من صلات طيبة برءوس الديوان ، أن يوظفه بالقسم المالى فى مدينة قنا ، ثم نقل منه إلى الزقازيق فى نفس السنة .. وكان يتردد على القاهرة لينهل من محافلها الأدبية والمسرحية ، ويقتنى الكتب .. وفى عام ١٩٠٦ استقال من عمله ، والتحق بمدرسة الفنون والصنايع بالقاهرة .. ثم تركها وعمل بمصلحة البرق لمدة ستة أشهر فقط .. ثم تركها واشترك مع الكاتب الإسلامى محمد فريد وجدى فى تحرير جريدة « الدستور » عام ١٩٠٧ ، وهو العام الذى توفى فيه والده ، أما والدته فقد توفيت عام ١٩٥٦ .

وفى عام ١٩٠٨ التقى بالزعيم سعد زغلول ، وأجرى معه حديثاً صحفياً كان الأول من نوعه فى تاريخ الصحافة المصرية .. وقد وصفه سعد زغلول

بأنه « كاتب جبار المنطق » .. وكان قلم العقاد أقوى سلاح استعان به الزعيم الكبير لمناصرته .

وهكذا سلك العقاد الطريق الذى كان ينتظره .. طريق الأدب والصحافة ، وتنقل بين جريدة وأخرى ، وأخذ يؤلف الكتب والدواوين .

وكان طيلة حياته معتزًا برأيه مُصرًا عليه ، يهاجم الظلم والفساد بكل قوة وقسوة ، وكان من نتيجة ذلك أن سُجن لمدة تسعة أشهر فى سجن القلعة ، فى ديسمبر ١٩٣٠ ، وذلك بعدما صاح صيحته المشهورة فى مجلس النواب ، وهو عضو فيه ، وقال : « إن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس فى البلاد يخون الدستور ولا يصونه » .. فعُد ذلك عيبًا فى الذات الملكية ، وحوكم العقاد بهذه التهمة ، بعد تعطيل الحياة النيابية .. وقد كان للعقاد تاريخ سياسى ونضال وطنى حافل .

وكان قد أصيب بمرض فى صدره عام ١٩٢٢ ، فترك القاهرة وأسرع إلى بلدته أسوان ليقضى بها الشتاء ، وكان يظن أن وفاته قد أصبحت وشيكة ؛ ولكنه خرج من مرضه سليمًا معافًا .. وقد ألف هو وصديقاه : عبد الرحمن شكرى وعبد القادر المازنى جماعة أو مدرسة « الديوان » الشعرية ، وهاجم شوقى أمير الشعراء هجومًا عنيفًا .

وفى ٢٧ أبريل عام ١٩٣٤ ، أقيم حفل أدبى كبير على مسرح الأزبكية لتكريم العقاد الأديب الفحل ، اشترك فيه كل أعلام الفكر والأدب اعترافًا منهم بما قدم للمكتبة العربية والعرب من غذاء أدبى مثمر ومفيد .

وفى عام ١٩٣٥ اصطدم العقاد برئيس حزب الوفد مصطفى النحاس وظهيره مكرم عبيد ، لما لمسه من انحرافهما فى مقاومة القصر والإنجليز ، وقال يومئذ كلمته المشهورة : « إننى كاتب الشرق بالحق الإلهى » .

وفى عام ١٩٤٠ شن حربًا على هتلر والنازية ، ونشر كتابيه « هتلر فى الميزان » و « النازية والأديان » ، حتى إذا بدت طلائع الجيش الألمانى على حدود مصر عام ١٩٤٢ سارع العقاد إلى الهرب إلى السودان .. وفى عام ١٩٣٨ كان قد عُين عضوًا فى مجمع اللغة العربية .. كما اختير عضوًا بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وكان مقررًا للجنة الشعر .

وقد كرمته الدولة ومنحته جائزة الدولة التقديرية للآداب ، تقديرًا منها لجهوده المثمرة فى مجال الأدب .. وكان العقاد منذ وصوله إلى القاهرة يتنقل فى عدة أماكن للسكن بها .. مرة فى ضاحية الدمرداش بجوار حدائق القبة ، وأخرى فى شارع محمد على ، وفى بنسيون الأهرام فى مصر الجديدة ، وفى شبرا .. ثم استقر أخيرًا فى المنزل رقم ١٣ بشارع السلطان سليم « شفيق غربال حاليًا » فى مصر الجديدة .. وفى ١٢ من مارس عام ١٩٦٤ يموت العقاد .. هذا الكاتب الكبير ، بعد أن قدم للعربية تراثًا أدبيًا وثقافيًا كبيرًا .

وكان العقاد شاعرًا ، وربما طغت شهرته ككاتب وأديب على شهرته الشعرية .. وقد ترك لنا عشرة دواوين هى : يقظة الصباح ، وهج الظهيرة ، أشباح الأصيل ، أشجان الليل ، وحى الأربعين ، هدية الكروان ، عابر سبيل ، أعاصير مغرب ، ما بعد الأعاصير ، ديوان من دواوين .. كما ترك العقاد لنا أكثر من تسعين كتابًا ، فى مختلف فروع العلم والمعرفة .. من سياسة وأدب وتاريخ وتراجم ونقد وإسلاميات وفلسفة وغيرها .. ومنها : عبقرية محمد ، وعبقرية عمر ، عبقرية الصديق ، عبقرية الإمام ، عبقرية خالد ، عبقرية المسيح ، أنا ، فى بيتى ، حياة قلم ، ابن رشد ، ابن سينا ، الفلسفة القرآنية ، التفكير فريضة إسلامية ، الإنسان فى القرآن الكريم ، إبليس ، جحا الضاحك المضحك ، برناردشو ، التعريف بشكسبير ، أبو نواس ، ابن الرومى ، غاندى ، عرائس وشياطين ، ساعات بين الكتب ، هذه الشجرة ، معاوية فى الميزان ،

رجـال عرفتـهم ، القـرن العشــرون ، وغيرهـــا .. ولم يؤلف غير قصة واحدة هـى « ســارة » .

وكان يعقـد فى بيته صـالوناً أدبيًا كـبيراً ، كل يوم جمعـة ، من العاشرة صباحًا حتى الثانية ظـهرًا ، وكـان يجتمـع فيه أعظم الشـخصيات الأدبية ، والكُتاب والشعراء ، وأساتذة الجامعات .

ولم يتـزوج العـقـاد طيلة حـيـاته .. وكـان يحـتـفظ فى بيتـه بقطعة قـمـاش مـشغولة بالذهب من مسـجد كربلاء بعث بها إليه أئمة الشيعة بالعراق ، وقطعة قماش سوداء من كساء الكعبة المشرفة .. وقد كان العقاد منظمًا فى حياته أشد النظام ، ومحافظًا على مواعيده تمامًا .. فقد كان له وقت للعمل ، ووقت للرياضة والتنزه ، ويوم فـى كل أسبـوع يكف فيـه عن كل عمل وكل قراءة ، حتـى مطالعة الصحف وفض رسائل البريد ، وله مواعيد للطعام والنوم لا تختل أبدًا .

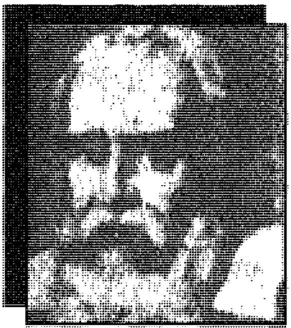
رحم الله العقاد ، فقد كان مدرسة تخرج فيها الكثيرون ، وما يزالون حتى بعد وفاته .

★ ★ ★

جاليليو جاليلى

(١٥٦٤-١٦٤٢)

عالم عصره



يحتل جاليليو جاليلى مكان الصدارة بين رواد العلم الحديث جميعًا .. فقد كان ذا فضل كبير فى إثراء المعرفة البشرية وتوسيع مدارك الإنسان .. وهو المسئول الأول عن تطوير المناهج العلمية أكثر من أى إنسان آخر .

ولد فى مدينة بيزا الإيطالية التى يقع فيها برج بيزا المائل ، عام ١٥٦٤ .

والتحق بالجامعة لدراسة الطب .. ولكنه ما لبث أن انصرف عن الطب وأقبل على دراسة الرياضيات .. غير أن ظروفه المادية حالت بينه وبين مواصلة الدراسة الجامعية .. وما أسرع ما انطلق جاليليو فى كتابة الكتب ، التى تجلت مواهبه الفذة فيها .

وحصل على وظيفة مدرس فى الجامعة عام ١٥٨٩ .. وبعدها بسنوات التحق بالتدريس فى كلية بادوا وظل هناك حتى عام ١٦١٠ .. وفى تلك الفترة أنتج أعظم أعماله العلمية .

وأهم إنجازاته العظيمة كانت فى الميكانيكا .. فالفيلسوف الإغريقى أرسطو قال لنا : « إن الأشياء الثقيلة يكون سقوطها إلى الأرض أسرع من الأشياء الأقل ثقلاً » وسار وراءه العلماء مئات السنين .. ولم يُقنع ذلك جاليليو ، فقام بتجارب عديدة على ذلك .. وقيل إنه صعد إلى برج بيزا وألقى من فوقه

بأجسام ذات أوزان مختلفة ؛ ليقيم الدليل على أن تلك الأجسام تصل إلى الأرض فى وقت واحد ، إلا إذا تدخل احتكاكها بالهواء .. وأثبت بذلك أن أرسطو لم يكن على صواب .

والجديد فى تجارب جاليليو .. أنه وضع لها قواعد رياضية تصف حركة سقوط الأجسام وسرعتها ، ثم أنه اكتشف قانون القصور الذاتى .. فقد آمن الناس بأن الجسم يبطىء فى حركته إلا إذا تدخلت قوى أخرى ودفعته إلى الحركة .. ولكن جاليليو اكتشف العكس .. وهو أن الجسم يظل متحركًا إلى مالا نهاية ، إلا إذا اعترضه جسم أو أى عامل آخر ، كالاحتكاك بالأرض أو الهواء .. وهذا الاكتشاف جعله نيوتن بعد ذلك القانون الأول للحركة ، وكان اكتشافًا علميًا عظيمًا .

أما أروع اكتشافات جاليليو فقد كانت فى علم الفلك .. فقبل جاليليو كانت هناك نظريتان : واحدة تقول : « إن الشمس مركز الكون » وصاحب « هذه النظرية هو العالم الفلكى نيكولاس كوبرنيكوس .. والأخرى قديمة وتقول : إن الأرض مركز الكون » وصاحبها هو بطليموس .. وفى عام ١٦٥٩ أثبت جاليليو أن كوبرنيكوس على حق ، وأن الشمس هى مركز الكون أو مركز عالمنا نحن .

وفى ذلك الوقت سمع جاليليو عن أنهم اخترعوا التلسكوب فى هولندا .. فاستعان به وأدخل عليه تعديلات كثيرة ، ثم وجهه نحو السماء ، واهتدى إلى اكتشافات كثيرة .

فقد نظر إلى القمر ، واكتشف أنه ليس جسمًا مستويًا ، وكذلك كل الأجسام السماوية .. وأن عليه وديان وجبال تمامًا كأرضنا هذه .. ونظر إلى « الطريق اللبنى » فى السماء ، فلم يجد طريقًا ولا وجد لبنًا ، وإنما هو

مجموعة من نجوم لا نهاية لها ، وبعيدة جداً لا تدركها العين .. ورأى أربعة أقمار تدور حول كوكب المشترى ، وفى ذلك دليل جديد على أنه من الممكن أن تكون هناك أقمار أخرى تدور حول كواكب أخرى غير الأرض .

ونظر إلى الشمس فوجد عليها بقعًا سوداء ، صحيح أن آخرين قد لاحظوا هذه البقع من قبل ؛ ولكنه هو الذى نشر ذلك على أوسع نطاق .. ولاحظ أن كوكب الزهرة يمر بمراحل مختلفة كالتى تمر بها الأرض .

كل ذلك أعلنه دليلاً على صحة نظرية كوبرنيكوس ، من أن الأرض والكواكب الأخرى كلها تدور حول الشمس .

وثارت ثائرة الكنيسة عندما أعلن ذلك ، وقاومها الكاثوليك والبروتستانت معًا ، واستنكرها مارتن لوثر ، المصلح الدينى الشهير ، وعارضها الزعيم الدينى جون كالفن ، ورفض أنصار أرسطو النظر فى التلسكوب ، وكابروا قائلين : « إن أقمار المشترى ليست سوى وهم من الأوهام » وبأمر من البابا ، استدعوا جاليليو ، ومثل أمام المحكمة الدينية المعروفة بديوان التفتيش ، وقرر الديوان أن ما قاله جاليليو بأن الشمس هى مركز الكون رأي سخيف وباطل ، وفيه خروج عن العقيدة الدينية ؛ لأنه مناقض لما جاء فى الكتب المقدسة ! .

وقد استكان جاليليو للعاصفة ، ونزل عن رأيه ، ووعد جاداً بأنه لن يؤيد رأى كوبرنيكوس ، وأنه سيمتنع عن تدريسه سواء بقلمه أو بلسانه .. كان ذلك فى ٢٦ فبراير عام ١٦١٦ ، ولم يكن قد مضى على حرق الفيلسوف جيوردانو برونو فى روما بأمر ديوان التفتيش أكثر من ستة عشر عامًا .

وأمر البابا بأن توضع فى قائمة الكتب المحرمة جميع الكتب التى ذكر فيها أن الأرض تتحرك حول الشمس ! .. وعاد جاليليو إلى فلورنسا ،

وعاش حينًا من الزمن فى هدوء وعزلة متحاشيًا الإساءة إلى خصومه من المنتصرين .

ولما مات البابا جاء من بعده واحد جديد من المعجبين بجاليليو .. فتركه يمارس حريته العلمية وأمضى جاليليو ست سنوات ، أكمل فيها كتابه الشهير « حوار حول النظامين الفلكيين المشهورين » ولم يكد يظهر هذا الكتاب ، حتى قُدِّمْ مرة أخرى لمحاكم التفتيش ، باعتباره خارجًا على الكنيسة ؛ ولأنه عاد يؤكد رأيه السابق ! .

وكان جاليليو وقتها فى السبعين من عمره ، وقد فقد بصره ، وكان ارتحاله من فلورنسا إلى روما ، حيث ديوان التفتيش ، شاقًا وصعبًا عليه .

واضطر جاليليو أن يلقى ، أمام الناس ، وأمام ديوان التفتيش ، وهو جاثٍ على ركبتيه ، علنًا ، البيان الذى أعده له ديوان التفتيش ، والذى يتضمن اعترافًا بالخطأ ، وتورطه فى الهرطقة ، وقسمه بأنه لن يعود فى المستقبل إلى اقتراف هذا الإثم سواء بالحديث أو بالكتابة ! .. ووعد بأنه لن يقصر فى المستقبل فى التبليغ عن الهراطقة الذين لا يزالون يقولون بدوران الأرض .. وسمحوا له بأن يقضى الأيام الباقية من حياته فى عزلة وصمت ، وتخضع تحركاته كلها للرقابة ، ويحرم عليه لقاء أسرته أو أصدقائه .

وقد فقد بصره تمامًا عام ١٦٣٧ ، وتوفى فى يناير عام ١٦٤٢ ، عن ٧٨ عامًا .

وكان لجاليليو بنتان وولد ، وكان يحب ابنته الكبرى ، مارى ، حبًا شديدًا .. كما كان شديد العناية بهم جميعًا ، دائم التفكير فيما فيه الخير لهم .

ولما ماتت ابنته الكبرى ، حزن عليها حزنًا شديداً ، وانتقل للعيش فى دار ابنه ، فنشنزيو ، بفلورنسا ، بعد موافقة صعبة من ديوان التفتيش ، ومع نفس الشروط التى أُخذت عليه سابقًا .. وفى عام ١٦٣٨ زاره الشاعر الإنجليزى الكبير ، جون ملتون ، وآلمه أشد الألم ما يعانيه الرجل العالم الكبير من الآلام ، وأثار غضبه ، وجعله يحمد الله لأنه ولد فى مكان مكفولة فيه حرية الفكر .

وبرغم ما حدث كان جاليليو يرى أن ذلك الصراع الذى حدث ، كان صراعًا بين العلم والتقاليد ، لا بين العلم والدين ، وقال : إن الكتب المقدسة لا تخطىء ؛ ولكن شراحها ومفسريها عرضة للخطأ .. وبرغم اضطهاد الكنيسة له ، فإنه لم يفقد احترامه لها .

ولكن الكنيسة ، والعالم بعد ذلك ، عرفا قدر جاليليو وقيمة اكتشافاته ، ففى عام ١٧٣٥ رُفعت أسماء كتبه من قائمة الكتب المحرمة ، وبعد ذلك بعامين أقيم له نصب تذكارى فى صحن كنيسة سانت كروتشه التى دفن بها .

ومن العجيب .. أن بابا الفاتيكان بروما أعلن فى عام ١٩٨٤ ، أن جاليليو كان بريئًا مما اتهم به ، وأن الحكم الذى صدر بحقه كان جائراً .

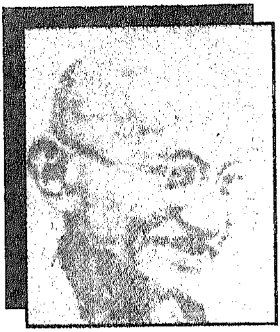
أى أن جاليليو برىء ؛ ولكن بعد موته بثلاثة قرون ! .

★ ★ ★

غـــانـدى

(١٨٦٩-١٩٤٨)

زعيم الهند



بالرغم من أنه كان زعيمًا كبيرًا ، وأنه كان أعظم رجل فى الهند ، ويعرفه العالم أجمع ؛ إلا أن كل ما كان يملكه هو عنزة تدر له اللبن ، وشملة أو كساء يغطى جسده .. وكان يغزل بيده ، ويكتب ويشترى القليل من الفواكه أو الجبن بما يكسب ، وكان يسكن فى بيتٍ غاية فى البساطة ، وكان نباتيًا ، أى لا يأكل اللحم ، وكان زاهدًا فى كل شىء إلا شيئًا واحدًا ، وهو خروج الإنجليز من بلاده .

ولد مُهانداس كاراما شاند غاندى - المهاتما غاندى بعد ذلك - فى الثانى من أكتوبر عام ١٨٦٩ فى بلدة « بوربندر » فى مقاطعة « كاتياوار » الهندية ، وكان الابن الرابع لأبيه من زوجته الرابعة بوتليباى .. ووالده كاراماشاند هذا كان رئيس وزراء مدينة راجكوت .. أما جده غاندى ، فقد كان من كبار الموظفين .. وكانت أسرة غاندى تُعرف بعمق شعورها الدينى ، وميلها الشديد إلى تحرى الحق .. وأسرته تلك كانت تدين بالديانة الجينية .. أمضى غاندى سبع سنوات من طفولته فى مدينة « بوربندر » مسقط رأسه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة راجكوت ، حيث التحق بالمدرسة الابتدائية بها .. وقد كانت أمه « بوتليباى » شديدة التدين ، ذات شخصية قوية ، وكان لها تأثير كبير على غاندى ، فمنها تعلم التسامح ، وتعلم الحب لبنى الإنسان على اختلاف مذاهبهم

وطوائفهم ، ومنها تعلم الزهد فى مظاهر الحياة ، والميل إلى الصيام ، وعدم أكل اللحوم أو ارتكاب المنكرات .. وكان من عادة الأسر الهندية فى ذلك الوقت أن تؤيد زواج الأطفال .. فقررت أسرته أن تزوجه فى يوم واحد هو وشقيقه الذى يكبره بعامين وابن عمٍ لهما .. وكان عمر غاندى وقتها لا يزيد عن ١٢ عاماً وبضعة شهور ! .. وتم الزواج ، وكانت العروس وتسمى « كاستور باى » فى الثانية عشرة من عمرها أيضًا ! .. وكانت خطبتها إلى غاندى قد تمت قبل زواجها بخمس سنوات ، أى عندما كانا فى السابعة من عمرهما ! .

وكان غاندى يحب زوجته الصغيرة ، وفى نفس الوقت يغير عليها غيرة عمياء ، وكان ذلك مثار نزاع مرير بينهما .. أما هى فكانت أمية ، تتمتع ببساطة فطرية ، نزاعة إلى الاستقلال ، متحفظة ، ولم تكن متبرمة بجهلها ذاك .. وقد أنجب غاندى منها ولدين ، وقد وقفت أسرته الصغيرة تلك إلى جواره طيلة جهاده وكفاحه وأثناء سجنه .

أنهى غاندى دراسته الثانوية وعمره يناهز الثامنة عشرة عام ١٨٨٧ ، ثم التحق بكلية « سامالداس » ولكنه تركها بعد فصل دراسى واحد ؛ لأنه لم يستطع ملاحقة أساتذة الكلية لصعوبة العلوم التى تدرس بها .. وعاد إلى بلدته ، وهو يشعر بالفشل .. وهناك نصحه واحد من أصدقاء أبيه بالسفر إلى انجلترا لدراسة القانون .. وتحمس غاندى للفكرة ؛ ولكن والدته عارضت سفره خوفًا من أن يضل الطريق السوى ؛ ولكنها وافقته بعد أن أقسم لها يمينًا مقدسًا ألا يمس الخمر ولا يقرب النساء ، ولا يأكل اللحم .

وقد رفضت طائفته هى أيضًا سفره ، بحجة أن دينهم يحرم ذلك ؛ ولكنه لم يأبه لهم وسافر .. وكان غاندى نفسه يؤثر دراسة الطب ؛ ولكن أخاه الأكبر كرّه إليه تشريح جثث الموتى .. وترك غاندى زوجته وطفله الحديث الولادة

وأبحر على إحدى البواخر إلى انجلترا .. وهناك أوفى بقسمه لأمه ، وأخضع حياته كلها لنظام قاسٍ من التقشف والاقتصاد .

واستطاع أن يدرس اللغة اللاتينية وأن يحصل على شهادة المعادلة الإنجليزية .. ثم درس القانون وأصبح محاميًا بعد ثلاث سنوات من الدراسة .. وكان قد انضم فى لندن لجماعة « النباتيين » .. وعاد إلى بومباى عام ١٨٩١ ، بعد إتمام دراسته ، وحصوله على الشهادة .

وقد اشتغل بالمحاماه فى بومباى ؛ ولكن الفشل كان حليفه بسبب خجله الشديد ! .. ثم سافر إلى جنوب أفريقيا لكى يعمل محاميًا قانونيًا هناك لدى إحدى الشركات الهندية .. وهناك حارب التفرقة العنصرية ، وخاض معارك كثيرة بسببها ، وأسس هناك فى عام ١٨٩٤ « حزب مؤتمر ناتال الهندى » ، وقرر أن يبقى فى هذه البلاد بناء على رغبة الجالية الهندية الذين وجدوا فيه القائد المنقذ ، فقد كانوا يلقون أسوأ معاملة ، ويعانون من الاضطهاد والطغيان ، واضطر أن يشترى قطعة أرض ، وأقام عليها منازل ، وجعلها مقرًا للهنود المهاجرين إلى جنوب أفريقيا ؛ لكى يعيشوا بها فى أمن وسلام .. وكثيرًا ما نظم المظاهرات مع مواطنيه ضد القوانين التعسفية التى شرعت ضد الآسيويين ، حتى نجح فى إلغائها عام ١٩١٤ .. وقد ترك العمل بالمحاماه ، ليقوم بعدة أعمال مختلفة ، فقد عمل مزارعًا وطباعًا وكناسًا ، واختار حياة الفقر والزهد .. وفى هذه الفترة كان يقرأ كثيرًا ، خاصة فى الأديان ، وقرأ عن المسيحية والإسلام ؛ ولكنه ظل على دينه حتى وفاته .. وقد تأثر غاندى بثلاث شخصيات تأثرًا كبيرًا ، كانوا جميعًا من المتمردين على الحضارة الأوربية يحاولون الارتداد عنها .. وهم : تولستوى أديب روسيا الكبير ، وكان غاندى يعتبره أستاذه ويراسله ، وثورو الأمريكى ، وروسكين الأديب والكاتب الإنجليزى .

وعاد غاندى إلى الهند فى يناير عام ١٩١٥ ، وفى مايو من نفس العام كون مجموعة من ٢٥ فرداً فى مدينة « أحمد آباد » أقسموا على أن يقفوا فى جانب الحق ، وعدم استعمال العنف ، والتبتل ، وعدم الخوف ، وضبط النفس ، وأن يرتدوا الملابس المنسوجة باليد فقط ، ولا يستعملوا سوى المنتجات المحلية .. وفى هذه الفترة أطلق عليه الشاعر الهندى الكبير « طاغور » لقب : « المهاتما » أى « الروح السامية » .

وبدأ غاندى جهاده الكبير فى الهند لتحريرها من الإنجليز ، وقد وجه جهاده ضد أعداء ثلاثة فى وقت واحد .. الاستعمار البريطانى ، والفقر ، وتحرير المنبوذين .. وقد تعرض فى جهاده هذا للاضطهاد والاعتقال .. فقبض عليه فى ١٣ مارس ١٩٢٢ وقُدّم للمحاكمة ، وسجن لمدة ٦ أعوام ؛ ولكن فى عام ١٩٢٤ ، نُقل إلى المستشفى لإجراء عملية الزائدة الدودية ، وأفرج عنه بعدها .. ثم اعتقل غاندى بعد ذلك عدة مرات ما بين أعوام ١٩٣٠ و ١٩٤٢ ، بسبب اطلاقه شعار « اتركوا الهند الآن » .. أطلقه ضد قوات الاحتلال البريطانى ، وقد توفيت زوجته « كاستور باى » أثناء اعتقاله ذاك الذى انتهى عام ١٩٤٤ ، وأُفرج عن غاندى بسبب مرضه .

وكان غاندى قد استحدث فى نضاله ضد الاستعمار عدة طرق سلمية بعيدة عن العنف ، تثبت قدرة الشعوب على التحرر حتى فى مواجهة أعتى القوى الاستعمارية .. فقد لجأ إلى « المقاومة السلبية » ثم « عدم التعاون بالامتناع عن العمل » ثم « العصيان المدنى » الذى شمل الامتناع عن دفع الضرائب .. ثم « مقاطعة البضائع الأجنبية » وذلك بحرق السلع والبضائع الإنجليزية علنًا فى ميناء بومباى .. ونظّم مسيرة كبرى إلى البحر لمعارضة احتكار الإنجليز للملح .. وطاف القرى فى الولايات الهندية لكى يقنع أهلها باستعمال الأنوال اليدوية ؛ لكى لا يحتاجوا إلى المنسوجات الإنجليزية ،

ونجحت دعوتـه تماماً ، وكان هـو بنفسه قـدوة فى ذلك .. كما تضمن برنامجه سياسة « التسامح الطائفى » بين الهندوس والمسلمين ، وبفضلها انضم ملايين المسلمين إلى حزب المؤتمر الهندى .. كما وقف عام ١٩٤٧ ، إلى جانب المسلمين فى محنتهم ، فى ولاية بيهار .. وفى ٣٠ يناير عام ٩٤٨ ، وبينما كان فى طريقه إلى الصلاة ، قابله شاب هندى يدعى « جودس » وقد اقترب منه غاندى ليحييه ، فأطلق عليه ثلاث رصاصات من مسدس كان يخفيه ، وما هى إلا عشرين دقيقة توفى بعدها غاندى ، وقبل أن يلفظ أنفاسه لم يقل إلا :

He Rama أى « يا ءالهى » .. وقـد قـيل أنه بعـد إطلاق الرصـاص عليـه قال : « إذا كنتم لا تريدون الحياة لى .. فأنا كذلك لا أريدها » .. وانتهت حياة رجل من أعظم رجال القرن العشرين .. انتهت من سجل الأحياء لتدخل فى سجل الخالدين .

وقـد قال عنه العالم الفيزيائى الشهير ألبرت إينشتين عـام ١٩٤٥ هذه الكلمات البليغة :

« إن غاندى يتزعم الشعب الهندى لا تؤيده فى هذه الزعامة أية سلطة خارجية .. وهو سياسى لا يقوم نجاحه على الحيلة أو المهارة فى الوسائل الفنية .. إنما على القوة الإقناعية فى شخصيته .. وهو مكافح مظفر يحتقر على الدوام أساليب العنف .. وهو حكيم متواضع قد تسلح بالإرادة كى يتناسق سلوكه .. وقد أرصد كل قواه لأن ينهض بشعبه ويرقى بمصيره .. وقد جابه توحش أوربا بوقار إنسانيته .. ولذلك كان على الدوام يرتفع عليها .

إن الأجيال القادمة سوف تشك فى أن إنساناً مثل هذا سعى بقدميه على أرضنا » .

وهذه كلمات عظيم قد رأى العظمة فى غيره وفطن إليها .

★ ★ ★



بيتهوفن

(١٧٧٠-١٨٢٧)

شكسبير الموسيقى

إنه أعظم موسيقار فى كل العصور .

وقالوا عنه : « لقد كان بيتهوفن ، شكسبير الموسيقى .. فكما قدم هذا الأديب العملاق للمسرح ، أعمالاً خُلدت عبر العصور ، كذلك سمت ألحان بيتهوفن فوق كل الألحان التى وضعها الذين سبقوه ، والذين جاؤا من بعده » .

ولد لودفيج فان بيتهوفن فى مدينة بون الألمانية ، فى أحد أيام شهر ديسمبر من عام ١٧٧٠ .. وقد أنجبت أمه ، ماريا ماجدالينا ، سبعة أبناء ، مات منهم أربعة وعاش ثلاثة ، وكان بيتهوفن هو ثانى أكبر أبنائها الذين كتبت لهم الحياة .

وفى أحد البيوت الصغيرة ، عند سفوح تلال سايبنجبرج ، عاشت أسرة بيتهوفن الريفية البسيطة التى تتألف من الأب والأم والأبناء الثلاثة ، كارل وبيتهوفن وجوهان الصغير .. ولم تكن طفولته سعيدة ، ولا حتى حياته كلها .. فقد كان والده يعمل عازفًا ومرتلاً فى أحد الكنائس الصغيرة ، وكان رجلاً سكيراً أدمن الخمر ، ولم يكن يهتم كثيراً بأبنائه .

وعرف بيتهوفن طريق المدرسة التى أرسله إليها والده ليتعلم ؛ ولكنه عرف طريقًا آخر أحب إلى نفسه من طريق الدرس والتحصيل .. وهو طريق الكنيسة

التى يعمل فيها والده .. وظل يتردد عليها كثيراً ، وكان أبوه يظن أنه يجىء من أجل الصلاة ، كما يفعل بقية الأطفال .. ولكنه كان يذهب ليقف بجوار عازف الأرغن ، يتأمل أصابعه وهى تتنقل بين مفاتيحه ، فقد أحبت أذناه الموسيقى وهو صغير .. وذات يوم وبعد أن انتهت الصلاة فى إحدى الأمسيات ، وانصرف الناس من الكنيسة ، سمع أبوه أحدهم يعزف على الأرغن ؛ ولكنها أنغام جديدة غير التى ألفوها ، وفوجىء بأن العازف هو ابنه بيتهوفن ، وأن هذه المقطوعة من عنده ، أى من ابتكاره .

وفى ذلك المساء ، ولد بيتهوفن كموسيقار ، وكان من الممكن أن يتعهد الوالد ابنه ، فيرعاه ويوجهه ؛ إلا أنه كان مشغولاً عنه بخمره ، كما أهمل تعليمه وراح يستغل موهبته الموسيقية ، ويرهقه فى العزف هنا وهناك ، وفى كل المناسبات من أجل المال .. وأتى له بأستاذ يعلمه الموسيقى ، كان قاسياً للغاية ولا يتوانى عن ضرب بيتهوفن ضرباً مبرحاً دون مبرر ، وقد كان الأستاذ صديق الأب وسكيراً مثله .

وبقى بيتهوفن حائراً تائهاً وسط أسرته وفى بلدته الصغيرة بون ، وكان وقته موزعاً بين حبه لأمه ، وحبه للموسيقى وكل ما يمت لها بصلة .. وكثيراً ما كان يجلس إلى البيانو الصغير ، الذى اشترته له أمه عندما بلغ الرابعة من عمره ، ليترجم عليه أحاسيسه ومشاعره .

وتمضى الأيام ، ويكبر الصبى ، ويجىء عام ١٧٨٧ ، ليقرر بيتهوفن ، وهو فى السابعة عشرة من عمره ، أن يسافر إلى فيينا ، عاصمة الموسيقى فى ذلك العهد ، ليقابل الموسيقار العالمى « موتسارت » ، وبكت أمه ، وتمنت له رحلة موفقة .. وفى منتصف الطريق بلغه نبأ مرض أمه ، فعاد ليسهر على رعايتها ، ولكن القدر غلبه ، فتوفيت ، وترك ذلك فى نفسه أثراً عميقاً .

وتمر خمس سنوات أخرى ، قبل أن يذهب إلى عاصمة الموسيقى ، ويلحق به شقيقاه بعد وفاة والدهم .

وهناك التقى بالموسيقار العالمى موتسارت ، وكان لقاؤهما عابراً ؛ ولكنه قال لدى سماع عزفه على البيانو : « انتبهوا لهذا الشاب .. فسيفرض نفسه على العالم ، ويحمل الناس على التحدث عنه عما قريب » .

واستقر بيتهوفن فى فيينا ، لا يتركها إلاّ ليقوم برحلات قصيرة ، وعمل عازفًا على البيانو والكمان ، واختير عضواً فى فرقة العازفين فى بلاط إمبراطور النمسا .

وكانت براعة بيتهوفن فى العزف على البيانو حديث الدنيا كلها .. ولكن أعظم أمنياته قد تحققت عندما أصبح تلميذاً للموسيقار العالمى « هايدن » ، قبل أن يفتتح بيتهوفن مدرسته هو التى أصبح فيها معلم الموسيقى الأول .

وقد قال هايدن بعد ذلك عن تلميذه بيتهوفن : « بين مئات السيمفونيات التى كتبت ، بما فيها تلك التى وضعتها أنا ، لم أجد سيمفونية واحدة تستطيع أن تقف منافساً لأعمال لودفيج فان بيتهوفن ، وسيمفونياته التسع » .

وقد قدم بيتهوفن أولى سيمفونياته تلك عام ١٨٠٠ ، وذاعت شهرته كثيراً ، وتهافت ناشرو الموسيقى على كل أعماله الفذة .. ولكنه لم ينعم بتلك الشهرة ، ولا بذلك المجد طويلاً ، فعندما كان فى أواخر العشرينات من عمره ، بدأت تظهر عليه أعراض الصمم ، وقد تضايق هذا الموسيقار العبقرى من ذلك ، وفكر فى الانتحار .

أما السنوات بين ١٨٠٢ و ١٨١٥ ، فقد اعتبرت سنوات منتصف العمر الفنى لبيتهوفن ، وفى هذه الفترة ، ومع تزايد الصمم ، بدأ ينسحب من الحياة

الاجتماعية ، وأحس الناس فى ذلك الوقت بأنه إنسان مشوه أو ذى عاهة ، وفى ذلك الوقت أيضاً كانت له علاقات عاطفية متعددة ؛ ولكن كانت نهاياتها تعيسة .

بينما ظل إنتاجه الفنى فيضًا غزيرًا لا يتوقف ، وظل ناجحًا رغم كل شىء .

وقد صور بيتهوفن بؤسه وشقائه ، واستيائه من أعراض الصمم ، فى وثيقة طويلة أسموها « العهد » قال فيها : « كان من المستحيل على أن أطلب إلى الناس أن يرفعوا صوتهم ويصرخوا لأسمع ما يقولون ؛ لأننى رجل أصم .. كيف يمكن أن أعترف بفقد تلك الحاسة ، وهى التى كان يجب أن تتوافر في بصورة لا تتوافر فى أى إنسان عادى .. ما أعظم ألمى عندما كنت أرى الناس يطربون لسماع أنغام الموسيقى التى تصل إلى آذانهم ، وأنا واقف بجوارهم لا أسمع شيئًا ! .. إننى أقترب من هاوية اليأس ! .. » .

وفى أواخر الأربعينات من عمره أُصيب بيتهوفن بالصمم تمامًا ، ولم يعد يذهب إلى الحفلات الموسيقية ، وانسحب اجتماعيًا ، وأصبحت أعماله أقل ولكن أكثر صعوبة ، حتى لم يعد من السهل فهمها .

ويقال : إنه أعلن لأحد النقاد : إن هذه الموسيقى ليست من أجلك ، إنما لأجيال من بعدك !

وإنه لمن سخريات القدر حقًا أن يصاب أعظم موسيقار فى التاريخ بعجز تام عن السمع ، وأعجب من ذلك أن أعماله التى أبدعها وهو أصم ، تعد أروع وأعظم ما أبدعه من قبل .

ومن أعمال بيتهوفن تسع سيمفونيات ، و ٣٢ سوناتا على البيانو ، و ٥ كونشرتات على البيانو والكمان ، ومجموعة رائعة من الكوراتات الوترية ، والموسيقى المسرحية وغيرها .. وأروع من هذا الكم ، الكيف أيضًا .. فأعماله

الموسيقية تضم إلى العمق ذلك الإحساس بالكمال فى بنائها جميعًا ، فقد استطاع بيتهوفن أن يرتفع بأعماله الموسيقية إلى أعلى مستوى فنى بلغه أى إنسان .

وكان له فضل كبير فى مجال الموسيقى ، فقد أطال السيمفونية ، ووسع مجالها ، وساعد كثيرًا على أن يجعل البيانو أعظم الآلات الموسيقية .. كما عمل على أن تنتقل الموسيقى من مرحلة الكلاسيكية إلى الرومانسية .. وكان لبيتهوفن أثره العميق على جميع الموسيقيين فيما بعد .

ولم يتزوج بيتهوفن ، مع أنه أحب بعضهن ، وأعظم حب له كان لفتاة تسمى « تريزا مالفاتى » ؛ ولكنه أشفق عليها ، وعلى أى امرأة أخرى ، من نفسه ! .. فلم يكن يتصور أن هناك امرأة تستطيع أن تحتمل ثوراته وغضباته ، تلك التى تجتاحه من حين لآخر .

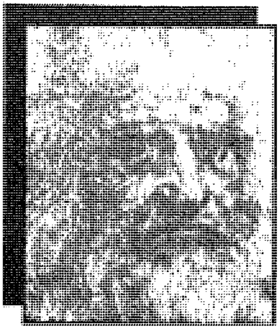
نعم .. كان بيتهوفن انفعاليًا ، عصبى المزاج ، سريع التأثر .. وكان خشنًا فى معاملة الناس ، ولا يقيم وزنًا لقواعد الأدب واللياقة .

ثم إنه كان إنسانًا غريب الأطوار .. فلم يكن يسمح لأحد بأن يقترب من غرفته التى اتخذ منها محرابًا لفنه .. وفى هذه الغرفة الصغيرة كان كل شىء يصرخ من الفوضى الضاربة فى أرجائها .. فألحانه المسجلة مبعثرة فوق فراشه وعلى المقاعد وفى كل مكان .. وبقع الحبر تملأ أرض الغرفة وتلطخ أصابع يديه وملابسه ! .. وأطباق الطعام النصف فارغة ملقاة هنا وهناك .. وكان يغلق باب غرفته على نفسه ، فلا يبرحها أيامًا ، وكثيرًا ما كان ينسى طعامه ، فإذا عضه الجوع ، خرج يبحث لنفسه عن كسرة خبز يسد بها رمقه .

وكان أصدقاؤه الذين أحبوه يدخلون خلسة إلى بيته ، ليضعوا له ملابس نظيفة بدلاً من تلك التى لم تفارق جسده منذ أسابيع ! .

وتـــوفى بيتـهـوفن ، عمــلاق الموسـيـقى ، فى ليلـة عـاصفـة ممطرة ، فى عـام ١٨٢٧ ، فى السابعـة والخمسين من عمـره .. وفى تلك الليلة اشتد البرق والرعـد .. وقبل أن يلفظ آخر أنفاسه ، رأى البرق يضىء السماء ، فرفع رأسه عن الوسـادة ، ثم لـوّح بقبضة يـده مهـددًا متوعدًا ، وقال وقد اشتدت ثورته : « حتى هذا الصوت النشاز لن يستطيع أن يفسد موسيقاى ! » ، ثم مال برأسه وأغمض عينيه إلى الأبد .

★ ★ ★



ليوناردو دافنشى

(١٤٥٢-١٥١٩)

صاحب أجمل ابتسامة

ليس هو صاحب تلك الابتسامة الجميلة ؛ بل ابتسامة « الموناليزا » أو « الجيوكوندا » أشهر لوحاته ، وأشهر لوحة فى العالم على الاطلاق .

ولم يكن رسامًا فقط .. بل كان نحاتًا ومعماريًا شهيرًا ومخترعًا وعالمًا فى آنٍ واحد .. إنه ليوناردو دافنشى ، رائد عصر النهضة ، وواحد من أعظم مصورى العالم .. ولد فى بلدة فِنشى بمدينة فلورانسا الإيطالية ، فى منتصف شهر أبريل من عام ١٤٥٢ ، لأب يدعى سِر بييرو دى أنطونيو ، كان محاميًا إيطاليًا ، وكان ليوناردو ابنًا غير شرعى له ، وعندما ولد لم يعترف ببنوته ، وهجره هو وأمه ! .

ولكن جده لأبيه ، عمَّده فى الكنيسة ، واعترف به ، وأدخله فى عداد أسرته رسميًا .. كان من صغره يهوى الرسم ، وتتلمذ على يد أندريا فروشيو ، الذى كان رسامًا ممتازًا وصانعًا ماهرًا .. وألمّ دافنشى كذلك بكل المعلومات المعروفة عن الفنون وعن الهندسة ، كما عشق الميكانيكا .. وقد لا يجد المرء فى كتب التاريخ جميعها ذكرًا لرجل تعددت مواهبه ، وكثرت كفاياته كليوناردو دافنشى .. اعتبره البعض مثال الرجل العالمى الجامع ، وقد استوعب أكثر نتاج

عصره ، عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، من فنون وفلسفة وعلوم .. ورأى فيه آخرون قمة عُليا من قمم العبقرية الإنسانية ، وقد تسنى له من الاكتشافات والابتكارات الشيء الكثير .. ولعل أغرب ما يذكر فى هذا الصدد اهتمام ليوناردو وخبرته بالشئون العسكرية ، وقد ترك بين مذكراته عدداً من الرسوم والمخططات لآلات صممها للهجوم والدفاع فى الحروب .. ثم أنه عمل مهندساً عسكرياً .. كذلك عرض ليوناردو خدماته وخبرته هذه فى الرسالة التى وجهها إلى دوق ميلانو ، وقال فيها : « أستطيع أن أضع من أسلحة الهجوم والدفاع فى الحروب مالا سبيل إلى حصره .. » وأشار صاحبنا فى تلك الرسالة إلى المنجنيق والمدفع وغيرهما ، إلى أن قال : « هذا إلى جانب الأسلحة الآلية الأخرى التى أستطيع صنعها والتى تمتاز بكفاية عجيبة .. » .

لا عجب إذن أن يكون ليوناردو دافنشى شغوفاً بالرياضيات التى تفترضها الهندسة العسكرية ، كما لا يخفى ، وقد انشغل بها فى وقت من الأوقات إلى حد زهد معه فى بيع لوحاته الفنية ؛ بل رفض استقبال الراغبين فى شرائها .

أضف إلى ذلك اهتمام ليوناردو فى عدد من الصناعات ، نذكر منها صناعة المرايا ، وقد ذكر مترجموه الكثير عن التجارب التى أجراها فى تلك الصناعة أثناء وجوده ضيف شرف فى الفاتيكان ، وكان ذلك فى العقد الثانى من القرن السادس عشر .. ومن طريف ما يذكر هنا أن العمال الألمان الذين ساعدوه فى تجاربه تلك لم ينفذوا تعليماته بالدقة المطلوبة ، ولم يتقنوا عملهم بالقدر الكافى ، وأنه كثيراً ما غضب عليهم بسبب ذلك .

ولم يقف ليوناردو دافنشى عند ذلك الحد من اهتماماته ، فقد قام بعدد

كبير من البحوث ، ووضع عدداً أكبر من الرسومات والمخططات فى شئون التشريح .. كما عكف على دراسة الصوت الإنسانى وألمّ بالكثير من المعلومات عن طبقات الأرض .. أما الميكانيكا وأعمال الرى وتجفيف المستنقعات فقد استأثرت بالكثير من عنايته وظفرت بالكثير من مكتشفاته .

وقد أثارت تلك الاهتمامات العلمية مشاعر الإعجاب والدهشة فى جموع الفرنسيين الذين زاروه وهو فى بلدة « كلو Clowx » الفرنسية ، التى قدم إليها بدعوة من الملك فرانسوا الأول ، والتى أمضى فيها السنوات الأخيرة من حياته .. وكان هذا الملك قد عرض عليه أن يقيم فى قصر يجمعه هو وتلاميذه الفنانين ، وأن يعطيه راتباً كبيراً .

وبرغم ذلك ، فقد كان ليوناردو رساماً ونحاتاً فى الدرجة الأولى ، وباحثاً مكتشفاً فى الدرجة الثانية .. وهكذا كان فى نظر معاصريه ، وذلك بدليل ما تنطق به رسوماته ولوحاته .

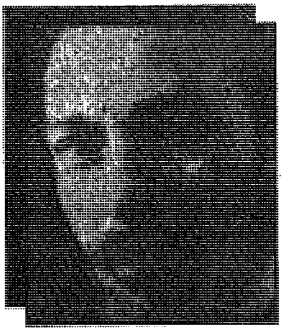
ومما يؤسف له أن عدد ما رسمه ليوناردو من لوحات كان قليلاً ! .. ويعللون ذلك بحرصه على تحقيق الكمال ما أمكنه ذلك .. ومن أفضل أعماله لوحة « العشاء الأخير » ، و« باخوس » ، و السيدة والقمة » وغيرها .. أما أعظم أعماله على الاطلاق ، وأفضل ما رسمته يد فنان ، فهى لوحة « الموناليزا » أو « الجيوكوندا » .. وهى صورة لسيدة كانت زوجة لصديقه الموظف الفلورنسى « فرانسسكو جيوكوندا » والذى طلب من دافنشى أن يرسم لها لوحة ، وقد مكث فيها ثلاث سنوات ، وكان يأتى لها بمهرج ليضحكها لكى تحافظ على ابتسامتها ! .. تلك الابتسامة الغامضة التى حاول الكثيرون تقليدها ففشلوا .. وتوجد « الموناليزا » الآن فى متحف اللوفر بباريس .. ولا توجد لوحة فى العالم أثارت جدلاً مثلما أثير حولها .

وقد تعرض دافنشى فى حياته لحسد وعداوة الكثيرين الذين وجهوا إليه عدة تهم ، منها الفسوق والشذوذ والإلحاد ! .. ولكنها لم تثبت عليه .

وقد أوصى دافنشى بممتلكاته لصديقه وتلميذه « فرانسسكو ملزى » .

وفى أخـريات حياته أصيبت يده اليمنى بالشلل .. فرسم باليسرى ، وأتقن ذلك .. لكنه لم يعش طويلاً بعد تعطل يمناه .. وقد توفى فى الثالث من مايو عام ١٥١٩ عن عمر يناهز ٦٧ عامًا .

★ ★ ★



محمود مختار

(١٨٩١ ـ ١٩٣٤)

سليل الفراعنة

منذ عهد الفراعنة الذى عرف أعظم النحاتين فى العالم كله .. لم تأت عبقرية أخرى فى هذا الفن – فن النحت – عبر كل تلك العصور .. وكأنما ادخرت لتظهر فجأة فى واحد فقط .. إنه المثال محمود مختار .. سليل الفراعنة .

ولد فى بلدة (نشا) بمحافظة الغربية فى ١٠ مايو عام ١٨٩١ .. والتحق بمدرسة الفنون المصرية عام ١٩٠٨ منذ افتتاحها فى ١٢ مايو من نفس العام .

تتلمذ على يد « لابلان » المثال الفرنسى ، الذى كان يدير مدرسة الفنون بمعاونة المزخرف « لوكون » والمهندس « بيرون » الفرنسيين ، والمصور الإيطالى « فورشيلا » .

ظهر نبوغه المبكر من خلال التماثيل التى أبدعها أثناء دراسته الأولى .. ولفت إليه الأنظار بأعماله التى عرضت فى المعرض الذى أقامته الفنون الجميلة للمرة الأولى عام ١٩١٢ .. فقد استحدث قيماً ومفاهيماً لها أهميتها الفنية ، مما جعله يحظى بالكثير من تقدير عشاق الفن ورواد هذا المعرض .

وقد مهد ذلك لاختياره فى بعثة دراسية عام ١٩١٢ ، فكان أول مصرى أوفد فى بعثة فنية إلى باريس .. وقضى فيها ثلاث سنوات ، درس خلالها بعض

الاتجاهات الفنية على يد « كوتان » المصور الفرنسى الذى لمس استعداده غير العادى مما حمله على أن يقدم له كل معاونة .

عاد إلى مصر ، وبعد فترة قصيرة سافر مرة أخرى إلى باريس ، فصادف هناك أياماً قاسية لقيام الحرب العالمية الأولى آنئذ ، ولانقطاع راتبه عنه .

والتحق بعمل شاق كان يؤديه ليلاً فى مصانع الذخيرة ، ودأب على مواصلة إنتاجه الفنى ، وعكف على مزاولته نهاراً .. واستمر يعمل بوحى توجيه « مرسييه » و « كوتان » و « إنجلبرت » .

استدعاه متحف « جريفان » الفرنسى ، وعينه مديراً فنياً له مكان أستاذه الأول « لابلان » .. وفى هذه الأثناء أبدع تمثال نهضة مصر من الرخام ، أودع فيه أحاسيسه الوطنية ، وعرض فى المعرض الأول للفنانين الفرنسيين بعد الحرب ، وفاز بالميدالية الذهبية .

وهبّت الصحافة المصرية مطالبة بتنفيذ هذا التمثال من الجرانيت .. وأقيم التمثال بالفعل فى ميدان رمسيس ، ثم نقل إلى مدخل شارع جامعة القاهرة .. ويعتبر هذا التمثال أول تمثال تقيمه مصر بعد الفراعين الأولين ، حيث أزيح الستار عنه فى ٢٠ مايو عام ١٩٢٨ .

وقد خصصت الدولة لتماثيله متحفاً متاخماً لمتحف الفن الحديث الذى كان يقع فى نهاية شارع قصر النيل ، وافتتح فى ٢٧ مارس عام ١٩٥٢ ؛ ولكنه هُدم عام ٦٣ - ١٩٦٤ لمقدمه .

إلا أن حكومة الثورة أرادت تكريم مختار رائد النحت الأول فى مصر ، فأقامت له متحفاً خاصاً بالجزيرة ، افتتح فى عيد الثورة العاشر بعد هدم المبنى القديم .

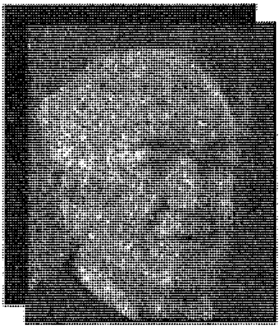
ومن أشهر تماثيل محمود مختار بعد نهضة مصر : بائعة اللبن – حاملات الجرار – العودة من السوق – فلاحة ترفع المياه – القيلولة – ابن البلد – سعد زغلول – الحزن – حارس المزرعة – رياح الخماسين .. وغيرها .

وكلها تبين وطنيته الصادقة وحبه الشديد لمصر ، وتمثيله لحياة الناس البسيطة والبعيدة عن التكلف .

وقد انتقل إلى جوار ربه فى ٢٧ مارس عام ١٩٣٤ .

وعلى الرغم من الفترة القصيرة التى عاشها ؛ إلا أنه استطاع بموهبته الفذة أن يثرى حياتنا بأفكاره وإنتاجاته الموفورة التى كان فى كل عمل منها أستاذًا ملهمًا ومعلمًا نابهًا .. ويكفيه فخرًا أنه استطاع أن يحيي الفن المصرى الخالد بروح المبدع الجديد بعد أن ظل حينًا طويلاً من الدهر فى سباته العميق ، ونسجت عليه السنون الطوال خيوطًا من النسيان والإهمال .

★ ★ ★



توماس أديسون

(١٨٤٧-١٩٣١)

صاحب الاختراعات الألف

يعجب المرء لأمر هذا المخترع .. فقد أنجز من المبتكرات ما لم ينجزه المخترعون من أبناء عصره مجتمعين .. فقد بلغت اختراعاته ألفًا أو يزيد .. هذا بالرغم من أنه حُرم نعمة الدراسة فى المدارس والجامعات ، وعاش طفولته فى فقر وعذاب .. وحسبك أنه أصيب بالصمم ، ولقى أسوأ معاملة من أبيه .

ولعلك تظن ان العبقرية التى فُطر عليها أديسون هى السر الذى حوله إلى ساحر اختراعات .. ويرد عليك هو بنفسه إذ يقول : « أنا مدين للفطرة بنسبة ١٪ ، ومدين للدأب والعمل المتواصل بنسبة ٩٩٪ » .

ولد توماس ألفا أديسون فى ١١ فبراير عام ١٨٤٧ فى مدينة ميلانو فى ولاية أوهيو بالولايات المتحدة الأمريكية ، وانتقل أهله به وهو فى السابعة من العمر إلى بلدة هورن بولاية ميتشجان .. وهناك ألحقوه بإحدى مدارسها ، وفق ما سمحت به مواردهم المتواضعة .. ولكن توماس لم يلبث فى تلك المدرسة سوى ٣ شهور .. فقد طرده ناظر المدرسة بحجة أنه كان متخلفًا ، وأن مدرسته لم تؤسس للمعوقين ! .. وتولت الأم (نانسى إليوت) تدريس الفتى طيلة ثلاث سنوات .. وعلى قِصر هذه المدة فإنها كانت كافية « لأن تغرس أمى فى نفسى حب العلم ، وتُفهمنى غايته » كما قال أديسون فيما بعد .. ولو ذكرنا

أنه فُطر على حب الاستطلاع لأدركنا سر شغفه بالمطالعة .. أما أبوه (صمويل أوجدن أديسون) فقد عامله أسوأ معاملة .. فقد درج على ضرب توماس ضربًا مبرحًا ، وأقدم ذات يوم على جلده بالسوط فى إحدى الساحات العامة ، وعلى مرأى من الجماهير الذين توافدوا إلى تلك الساحة ليروا ذلك المشهد الفريد ! .. لقد مزق الأب نفسية ابنه الموهوب من حيث لا يدرى ، وزاده صممًا ، وكان قد أصيب بالصمم بسبب مرض ألمّ به قبل حين .

لا عجب إذن أن خرج أديسون عن أهله واستقل عنهم وهو فى الثانية عشرة من عمره .. وكان يبيع الصحف والحلوى ذات السكر فى القطارات ، وهو أول عمل مارسه طلبًا للرزق .. غير أن هذا العمل لم يُنسه العلم والاختراع .. فأنشأ فى إحدى عربات الشحن مختبرًا صغيرًا واصل فيه تجاربه .

إلا أن هذه التجارب ما لبثت أن أفقدته عمله فى القطار ، فقد تسبب فى اشتعال النار فى عربة الشحن .. وبالرغم من ذلك فإن الأثر الذى تركه الحريق وملابساته فى نفس توماس لم يُضاه الأثر الذى تركه حادث آخر وقع له أيام عمله فى القطار .

فقد تأخر ذات يوم عن موعد القطار ، فراح يركض فى أثره يريد اللحاق به .. حتى بلغه ؛ ولكنه عجز عن الصعود إليه .. واتفق أن كان فى مؤخرة القطار بعض العمال الذين شاهدوا توماس وهو يحاول الصعود إلى القطار بلا طائل .. فسارعوا إلى مساعدته .. لكنهم أمسكوا بالفتى من أذنيه ، ثم رفعوه بعنف وقوة ، وبدون قصد أيضًا .. ويقول أديسون فى ذلك : « عندها أحسست بفرقعة داخل أذنى ، ومنذ تلك اللحظة وأنا أعانى من الصمم بالكامل » .

فقد أدى انتشال العمال له إلى تمزق فى طبلة الأذنين .. ولكن أديسون وجد فى صممه نعمة بالإضافة إلى النقمة .. فقد أتاح له ذلك فرصة الابتعاد عن الضوضاء والثرثرة والتفرغ للقراءة والتفكير فى اختراعاته .

وكان العمل الثانى الذى مارسه أديسون هو عمل المساعد لأحد المختصين بالتلغراف ، وقد حصل عليه بمساعدة ناظر محطة السكك الحديدية مكافأة له على انقاذه ابنه ، ومهما يكن من أمر فقد فتح هذا العمل أعين أديسون على الكهرباء .. التى أصبحت دينه وديدنه منذ ذلك الحين .

أما العمل الثالث الذى قا به أديسون فكان الاختراع والابتكار .. فقد بنى لنفسه عام ١٨٧١ ورشة عمل فى نيويورك ، يُجرى فيها تجاربه ، ويستكمل اختراعاته ، لا يقصد إلا بيع تلك الاختراعات وقبض أثمانها ، وتطورت تلك الورشة مع الأيام ، حتى أصبحت شركة جنرال إلكتريك الشهيرة فى هذه الأيام .

وتجمع لأديسون عدد من الاختراعات فى غضون بضع سنوات .. وبلغ ثمن هذه الاختراعات التى اشترتها منه شركة وسترن يونيون ٧٠ ألف دولارًا .. وهو المبلغ الذى أنفقه على إنشاء مختبره الشهير فى منلو بارك فى نيوجيرسى .

ثم جاء اختراع الفونوجراف عام ١٨٧٧ ، فذاع صيت أديسون ، وطبقت شهرته الآفاق .. ولكن الشهرة وحدها لا تكفى للمضى فى إجراء التجارب فى مجال الكهرباء ، واختراع المصباح الكهربى العملى الذى طالما حلم به .. وللإنفاق على نفسه ومعاونيه ومختبره .

والتمس أديسون هذا المال من أحد أصحاب البنوك فى نيويورك ، المستر مورجان .

ولما أكد له أن باستطاعته استكمال اختراع المصباح فى ستة أسابيع ، عمد مدير البنك عام ١٨٧٨ إلى تأسيس شركة خاصة لتمويل أديسون .. وطرحت أسهم تلك الشركة فى الأسواق ، وكان عددها ٣٠٠٠ سهمًا .. ولكنها

مُنيت بالكساد ، ولم يبع منها سهمًا واحدًا ، عندئذ لجأ أديسون إلى الحيلة ، فكذب كذبته البيضاء ، وأكد فى تصريحاته الصحفية أنه استكمل وأنجز اختراع المصباح الكهربى .. ولم تمض أيام على تلك التصريحات حتى بيعت أسهم الشركة الجديدة كلها .. ووضع مبلغ ٥٠ ألف دولار فى متناول المخترع أديسون ، ولم تمض شهور على ذلك حتى كان المعرض الذى أقامه المخترع ، وعرض فيه مصباحه وكان ذلك فى ١٨٧٩/١٠/٢١ حيث نال شهرة واسعة وقتها ، ولم يكن عمر أديسون وقتها يجاوز (٣٢) عامًا ! .

ولم يذكر التاريخ مخترعًا « تحت الطلب » كأديسون ، فقد شملت اختراعاته مجالات كثيرة ومتنوعة ؛ ولكن يظل مصباحه الكهربى أهم اختراعاته على الاطلاق .. فهو الذى حل محل مصباح الزيت ، ووضع حدًا لعصر البخار .. وكان بمثابة الضوء الأخضر لظهور حضارة القرن العشرين ، وهى حضارة تقوم على الكهرباء أولاً وآخرًا .

وقد تزوج أديسون مرتين ، وكان له ثلاثة أولاد من كل زوجة ، وقد ماتت إحداهما وهى صغيرة .

أما هو فقد توفى فى ولاية نيوجيرسى عام ١٩٣١ .

★ ★ ★



مـدام كورى

(١٨٦٧ـ ١٩٣٤)

مكتشفة الراديوم

إنها المرأة التى اكتشفت معدن الراديوم ، أعجب المعادن وأغلاها ثمنًا ، والوحيدة من بنات جنسها التى فازت بنوبل مرتين .

ولدت ماريا سكلودوفسكا - مدام كورى بعد ذلك - بمدينة وارسو البولندية فى السابع من نوفمبر عام ١٨٦٧ ، وكان والدها أستاذًا للعلوم والرياضة فى مدرسة بتلك المدينة ، فتعلمت منه ماريا أول دروسها فى العلوم .

كانت صغرى أطفال أسرتها ، ومحبوبة لدى الجميع ، غير أن المتاعب سرعان ما بدأت تترى ، فلما بلغت التاسعة من عمرها ، ماتت كبرى أخواتها فجأة بمرض التيفوس ، وبعد سنة ماتت والدتها بعد أن عانت سنوات طوال من مرض الدرن الرئوى ، فكان موتها ضربة شديدة الوطأة على ماريا ، التى كانت تحب أمها أكثر من حبها لأى مخلوق على ظهر البسيطة .

ولم يكن والدها ثريًا ؛ لذا تحتم عليها بعد أن تركت المدرسة هى وأخواتها وأخوها ، أن تشتغل كما اشتغل أخوها وشقيقاتها ، لكسب عيشهم جميعًا ، بإعطاء دروس خاصة لأولاد الأغنياء ، ولم تكن هذه الحياة سارة ، وكان العمل شاقًا وغير مربح ، ومع هذا فقد استمر فيه أفراد أسرة سكلودوفسكا ؛ لأنه كان الطريق الوحيد لتحسين حالتهم .

وقد اعتزمت « برونيا » كبرى شقيقاتها أن تسافر إلى باريس لتدرس الطب هناك ، ثم تعود لتمارسه فى بولنده ، وكذلك كانت ماريا طموحاً هى الأخرى ، فقد اشتاقت أن تسافر إلى باريس أيضاً لتتعلم ثم تعود لتعلم أبناء وطنها .

وقررت ماريا أن تذهب شقيقتها إلى باريس أولاً ، ثم تذهب هى بعدها بدلاً من الانتظار سنين طويلة حتى تدخر المال اللازم لسفرهما معاً إلى باريس .. فعندما تسافر برونيا إلى هناك ، تبقى هى فى بولنده لتعمل كمربية أطفال ، وترسل إليها ما تكسبه من تلك المهنة .

وكانت هذه فكرة تنطوى على الكرم البالغ ، إذ تعنى انتظار عدة سنوات طوال فى العمل كمربية أطفال متعبين ، قبل أن تتمكن ماريا من الذهاب إلى باريس ، وأخيراً ، وفى عام ١٨٩١ حان اليوم الذى استطاعت فيه ماريا أن تسافر فى رحلتها الطويلة عبر أوروبا إلى باريس ، وإلى السوربون .

وما أن وضعت ماريا قدميها فى باريس حتى بدأت منهجاً من الدراسة الشاقة والمعيشة البسيطة ، واعتزمت أن تدرس منهجين معاً لتحصل على درجة ماجستير ، أحدهما فى الطبيعة والآخر فى الرياضيات .

وكان من بين العلماء الكثيرين الذين التقت بهم ماريا فى باريس واشتغلت معهم ، عالم يدعى « بيير كورى » ولد فى باريس عام ١٨٥٩ ابناً لأحد الأطباء ، وقد أولع بالعلوم منذ طفولته ، ونال بكالوريوس العلوم وهو فى السادسة عشرة ، والماجستير فى العلوم وهو فى الثامنة عشرة .. وعندما التقى بماريا كان فى الخامسة والثلاثين ، ذائع الصيت فى أوروبا كلها ، لاكتشافاته العظيمة فى المغناطيسية .

وقد أحب كل من بيير كورى وماريا سكلودوفسكا العلوم أكثر مما عداها ، وسرعان ما توطدت الصداقة بينهما فاشتغلا معاً باستمرار وتناقشا فى مسائل

أبحاثهما ، وبعد سنة وجزء بسيط من السنة ، أحب كل منهما الآخر ، وفى عام ١٨٩٥ ، صارت ماريا سكلودوفسكا ، مدام كورى .

لم يكن زواجهما بالغ السعادة فحسب ؛ بل وكان من أعظم المشاركات العلمية واهتم بيير ومارى ، لوقتٍ ما ، بأبحاث العالم الفرنسى أنطون بيكريل الذى اكتشف معدن اليوارنيوم المشع ، والذى كانت تنبعث منه أشعة تشبه إلى حدٍ كبير الأشعة السينية ، وقرر الاثنان أن دراسة هذه الأشعة هى خير موضوع يناسب رسالة مدام كورى لنيل درجة الدكتوراة .

وقد قامت مدام كورى بأبحاثها فى أشق الظروف ، فكان عليها أن تتخذ من مخزن عتيق بالجامعة معملاً لها ، ولم يكن لديها أجهزة مناسبة علاوة على ضيق المكان الذى ستجرى فيه أبحاثها .

وأخذت تفكر فيما إذا كانت هناك مواد كيميائية أخرى تنبعث منها مثل هذه الأشعة ؛ ولذا بدأت تختبر كل مادة كيميائية معروفة ، وبعد أن كررت تجاربها مرات ومرات ، وجدت أن هناك مادة تستخرج من باطن الأرض تعرف باسم « البتشبلاند » تشع أشعة أقوى من أية أشعة عثرت عليها ، فاعتزمت أن تطلق على هذا العنصر الجديد اسم « الراديوم » .

وقد نالت مدام كورى درجة الدكتوراة على هذا الاكتشاف فى العلوم الطبيعية من جامعة باريس .. وكانت الخطوة التالية هى الحصول على الراديوم نقيًا من البتشبلاند ، وكان أول ما يجب على هذين العالمين أن يفعلاه هو الحصول على معمل أكثر اتساعًا ليقوما فيه بتجاربهما على البتشبلاند ، وما أن حصلا عليه حتى كان عليهما أن يشتريا طنًا من البتشبلاند ليقوما عليه بتجاربهما ، وكانت هذه المادة موجودة بالنمسا .. ومرت أربع سنوات طوال من العمل المضنى قبل أن ينجحا فى استخراج الراديوم نقيًا من البتشبلاند ، وعرفا خصائصه العلمية وفوائده العملية ، وخاصة فى شفاء الأمراض الجلدية ..

ويسبب ذلك نال الاثنان جائزة نوبل فى الفيزياء مع العالم بيكريل عام ١٩٠٣ ، كما مُنحا « وسام دافى » من لندن .

وبينما كانت مدام كورى فى ذروة انتصارها ، فجعها الحزن بضربة شديدة الوقع ، إذ صدمت زوجها عربة فى أحد شوارع باريس ، ومرت فوقه فقتلته ، وكان ذلك فى عام ١٩٠٦ ، فلم تصدق ابدًا أن بيير قد مات ، وبدا لها أن الحياة مستحيلة بغير وجوده إلى جانبها ، وحتى الراديوم نفسه فقد سحره عليها ، إذ ملكت الفاجعة عليها نفسها ، ولم تفكر فى شيء غير مصيبتها .

ولكن سرعان ما عاد إليها الشوق إلى العمل ، وتفانت فيه لعله ينسيها أحزانها ، وبعد عدة سنوات شيدت لها جامعة باريس معهدًا خاصًا للراديوم ، وضعت هى بنفسها تصميم معامله ، وأطلقت عليه اسم « معبد المستقبل » .

وقد نالت أيضًا جائزة نوبل فى الكيمياء عام ١٩١١ تقديرًا لجهودها العلمية الممتازة .

وقد ذاعت شهرة مدام كورى فى العالم كله ؛ إلا أنها لم تكن ترغب فى الشهرة إطلاقًا ، وكانت تكره الظهور أمام جمهور يصفق لها ، ويضايقها أن تحضر حفل عشاء أقيم لتكريمها ، وكانت تجد السعادة مع ابنتيها ومعملها بمعهد الراديوم .

وقد زارت الولايات المتحدة وأدهشها وأرهبها ذلك الاستقبال العظيم الذى قوبلت به ، وقدم لها رئيس الولايات بنفسه جرامًا من الراديوم كانت فى حاجة ماسة إليه للقيام بأبحاثها ، وكانت سيدات أمريكا المحبات لها اللاتى جمعن المال اللازم لشراء ذلك الجرام .

وقد توفيت مدام كورى عام ١٩٣٤ ، وظلت تعمل بجد فى معملها حتى يوم وفاتها تقريبًا .

★ ★ ★



ألبرت إينشتين

(١٨٧٩ـ١٩٥٥)

أشهر عالم فى القرن العشرين

ولد ألبرت إينشتين عام ١٨٧٩ ، فى مدينة أولم فى جنوب ألمانيا .. وما لبث أن انتقل مع أهله إلى ميونيخ وذلك بسبب فشل أبيه فى أعماله الحرة .

ولما لم يستطع دخول الجامعات الألمانية بسبب مجموع درجاته المنخفض ، ذهب إلى سويسرا والتحق بكلية زيورخ المهنية (بوليتكنيك) الشهيرة ، والمعروفة آنذاك بالاسم المختصر ETH .. وقد تجنس إينشتين بالجنسية السويسرية ، وراق له نظام التعليم الديمقراطى السويسرى ؛ إلا أنه لم يفد منه كثيراً ، فقد آثر الغوص فى أمهات المراجع العلمية على حضور المحاضرات .. فاضطر للاعتماد على رؤس الأقلام التى سجلها أحد زملائه ، مارسيل جروسمان ، لتلك المحاضرات .

وتخرج إينشتين عام ١٩٠٠ ليجد أبواب الرزق مقفلة فى وجهه .. فقد سعى إلى التدريس فى الجامعات بلا طائل ، واضطر لإعطاء دروس خاصة هنا وهناك حتى تم تعيينه فى دائرة البراءات وتسجيل الاختراعات عام ١٩٠٢ ، وذلك بمساعدة نفس الزميل الذى كان ساعده فى الدراسة .. مارسيل جروسمان .

وجاء عام ١٩٠٥ وإذا بعبقرية إينشتين تنفجر على حين غرة ، وكأنها البرق الخاطف الذى ملأ الدنيا بضيائه فى لحظات معدودة .

فقد نشرت إحدى المجلات العلمية الرياضية فى تلك السنة عدداً من الأبحاث الجادة والخطيرة لإينشتين والتى فاجأ بها العلماء وقتها ، وقد تناول فيها نظرية النسبية ، وركز فى بحث آخر فى معادلته الشهيرة ($E = mc^2$) أى : الطاقة = الكتلة فى مربع سرعة الضوء .. وهذه المعادلة كانت ومازالت القاعدة الأساسية للتفجيرات الذرية والنووية ، وفتحت تلك الأبحاث لأينشتين أبواب الجامعات على مصراعيها ، ووثقت عرى الصداقة بينه وبين كبار علماء تلك الأيام .

وبدأ إينشتين عهده الجديد بالتدريس فى جامعة زيورخ ، ثم فى جامعة براغ ، ثم أصبح مديراً لمعهد القيصر فيلهلم للفيزياء ، التابع للأكاديمية البروسية فى برلين ، وكانت تحتل القمة بين الجامعات آنذاك .

كان ذلك عام ١٩١٤ أيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تحل ظروف الحرب بينه وبين المضى فى أبحاثه الخاصة بنظرية النسبية العامة التى أعلنها عام ١٩١٥ .

وتجدر الإشارة إلى أن نظريتى النسبية الخاصة والعامة ، كلتاهما فى غاية التعقيد ، ولا يستطيع أى إنسان أن يشرحهما فى مجلة أو لعامة الناس مهما أوتى من القدرة على التوضيح .. ولكن النسبية قد أحدثت ضجة هائلة فى الأوساط العلمية فى العالم كله وقتها وحتى الآن .

أما دراسة انحراف أشعة ضوء الشمس بتأثير الجاذبية - وهى الدراسة التى حالت الحرب بين إينشتين وبين إجرائها - فقد أجراها الإنجليز عام ١٩١٩ ، وثبتت صحة نظرية إينشتين فى هذا الصدد ثبوتًا أكسبه المزيد من الشهرة وذيوع الصيت .

وقد حصل على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٢١ .

ولأنه يهودى ، فقد هرب من النازية وترك ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك عام ١٩٣٣ ، وحصل على الجنسية الأمريكية ، وظل أستاذًا فى جامعة نستون حتى وفاته .

وهو الذى طلب إلى الحكومة الأمريكية أن تعجل بإكمال القنبلة الذرية قبل أن يهتدى إليها الألمان ، وقد ندم على ذلك فيما بعد .. فقد كان من دعاة السلام ولا يقر الحرب والقتال .

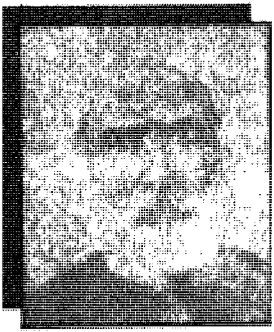
وقد طلب منه اليهود أن يكون أول رئيس لإسرائيل ، فاعتذر .

كان زواجه الأول تعيسًا ، أما زواجه الثانى فقد أتى له بولدين .

وكان بسيطًا فى حياته .. يدخن الغليون .. ويحب العزف على الكمان .. وكان يرى أن الموسيقى هى الرياضيات ، فبغير الرياضيات لا موسيقى ، وبغير الموسيقى لا إحساس بجمال الرياضيات .. وكان يقول : إنه فى كل مرة يعجز فيها عن فهم مشكلة فى الرياضيات ، يستمع إلى موسيقى موتسارت ! .

وكان يحب القصص البوليسية ، ويحسد مؤلفيها .. لأن مؤلف القصة يعرف من هو القاتل الحقيقى ثم يخفيه عن عيون القراء .

★ ★ ★



محمد عبده
(١٨٤٥ـ١٩٠٥)
إمام القرن العشرين

ولد الشيخ الإمام محمد عبده حسن خير الله فى إحدى قرى محافظة الغربية ؛ ولكنه نشأ بقرية « محلة نصر » بمركز شبراخيت بمحافظة البحيرة حيث نشأ والده ، ونشأت أسرته من قبله .. وكان مولده عام ١٨٤٥ .

وتعلم القراءة والكتابة فى منزل أبيه ، وبعد أن جاوز العاشرة من عمره ، أتم حفظ القرآن الكريم ، ثم ذهب إلى الجامع الأحمدى فى طنطا ليتعلم تجويد القرآن وقواعد اللغة العربية .

وفى عام ١٨٦٦ التحق بالجامع الأزهر ، ثم التقى بجمال الدين الأفغانى رائد الحرية الدينية والسياسية ، الذى كان يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب القديمة والكتب الأوروبية المعروفة فى الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع .

وقد ظفر بشهادة العالمية من الأزهر عام ١٨٧٧ ، ثم أخذ يلقى دروساً فى المنطق وعلم الكلام « التوحيد » والأخلاق ، وامتازت دروسه بمنهج جديد جمع حوله عدداً كبيراً من الطلاب .

وفى عام ١٨٧٩ أصبح محمد عبده أستاذاً للتاريخ فى مدرسة دار العلوم ، ثم أستاذاً للأدب فى مدرسة الألسن ، وظل يشغل هاتين الوظيفتين إلى جانب مواصلته لدروسه فى الأزهر ورسالة الإصلاح والتجديد بإدخال العلوم

الحديثة إلى عرينه المغلق المنيع .. ولما انتهت حوادث الثورة العرابية بدخول الجيش الإنجليزى ، والقبض على العرابيين ، اتهم الشيخ الإمام بأنه لسان الثورة وقلمها ، فقضى عليه المجلس الذى كان مشكلاً لمحاكمة الثوار بالنفى ثلاث سنوات قضاها بين سوريا وباريس وبلاد المغرب .. وفى منفاه اشتغل بالتدريس فى سوريا ، وفى باريس اتصل بأستاذه جمال الدين الأفغانى ، وظل بعيداً عن مصر حتى بعد انقضاء مدة النفى ، وواصل رسالته فى التعليم والتأليف والترجمة .

وشعر كثير من أنصاره فى مصر بالحاجة إليه فدعوه ملحين ، كما شعر القائمون على شأن العدالة فى وزارة الحقانية « العدل » بحاجة القضاء إلى وجود مثل هذا الرجل العظيم بين رجاله .

فكانت مواهبه والإجماع على الحاجة إليه فى القضاء سبباً فى تذليل العقبات ، ورضى « القصر » فعُين نائب قاض لمحكمة بنها عام ١٨٨٨ ، ثم رقى إلى قاضٍ بمحكمة المنصورة الأهلية ، وفى ٧ يناير عام ١٨٩٢ نقل قاضياً من الدرجة الأولى فى محكمة مصر ، وبقى بهذه الوظيفة أربع سنوات قضاها تقريباً فى محكمة عابدين .

وكان خلال عمله فى محكمة عابدين موضع إعجاب جميع الطبقات من متقاضين وصحفيين وغيرهم .. وكان الإمام محمد عبده يصدر الحكم ويشفعه أو يسبقه أحياناً بدروس ومواعظ يلقيها على المحكوم عليهم والجمهور ، إلقاء يشعر الجماهير والمحكوم عليهم بأنهم فى حضرة أب ومصلح كبير .

رقى بعد ذلك إلى وظيفة نائب مستشار بمحكمة الاستئناف بالقاهرة فى ٢١ نوفمبر عام ١٨٩٥ ، وبقى حتى ٥ يونية عام ١٨٩٩ يوم اختير مفتياً للديار المصرية مع اشتراطه على الحكومة أنه لو أُقيل أو استقال - أن يعود إلى

القضاء فى محكمة الاستئناف كما لو كان ، ولم يجعل المنصب مقصوراً على الإفتاء ؛ بل وسع اختصاصه ، وزاد فى نفوذه حتى سُمى بحق « المفتى الأكبر » ، وكان يلقى دروساً فى تفسير القرآن بالجامع الأزهر بعث فيها من روحه العصرية المتجددة .

والحقبة التى قضاها الإمام فى القضاء (١٨٨٨ - ١٨٩٩) تُذكر له وتسجل فى التاريخ القضائى كعلم من أعلام القضاة البارزين .

وفى غير الجانب القضائى من حياته كان رأس الإصلاح فى مصر ، تربية وطنية وثقافية وخلقًا لوعى متجدد منطلق إلى التقدم المنشود ، منتهجًا سياسة أستاذه العظيم جمال الدين الأفغانى ، تلك السياسة التى أعطاها كل حقها من الرعاية والإخلاص ، ألا وهى سياسة التوعية والتبصير ، فسمى بحق « عبقرى الإصلاح والتعليم » .

فبعد حصوله على شهادة العالمية من الأزهر ، أخذ يلقى الدروس فى رحابه ، وقد امتازت دروسه بمنهج جديد جمع حوله عددًا عظيمًا من الطلاب والمريدين والمعجبين ، وصار فيهم جميعًا زعيمًا ورائدًا فكريًا كبيرًا .

وفى مستهل حكم « توفيق » عينه « رياض باشا » رئيس الوزراء لتحرير « الوقائع المصرية » ، فاتجه بها إلى الإصلاح الدينى والأخلاقى ، فضلاً عن المعانى الوطنية التى تضافر فى نشرها مع عبد الله النديم وغيرهما من المصلحين ، حتى كانت ثورة عرابى التى آزرها الجيش والشعب بأسره .. وإن لم يكن من رأى محمد عبده القيام بالثورة يوم قامت عام ١٨٨٢ ، حتى تتسلح الأمة بالثقافة والتربية الأخلاقية والسياسية التى تناسب قيام دستور حر - فإنه حين قامت الثورة لم يتخلف عن مناصرتها بكل قوته وقدرته ويدعو لها دعوة الحر الجرىء .. وكان من جراء ذلك أن نفاه الإنجليز خارج مصر .. وفى باريس

التقى بأستاذه العظيم جمال الدين الأفغانى وعملا معًا فى تأسيس جمعية وصحيفة أسبوعية باسم « العروة الوثقى » كان هدفها الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، والذود عن الشرقيين ومكافحة التسلط الأجنبى والطغيان الداخلى ، وتخليص مصر من الاحتلال الإنجليزى بوجه خاص ، ثم رحلا إلى انجلترا عام ١٨٨٤ ، ثم عاد إلى باريس ، ومنها إلى بيروت حيث عُين مدرسًا بالمدرسة السلطانية التى ألقى فيها دروسه المشهورة فى علم « الكلام » والتى كانت أصلاً لرسالته المشهورة « رسالة التوحيد » .

وفى ٢٥ يونية عام ١٨٩٩ عين الإمام عضوًا بمجلس شورى القوانين ، وكان سلوكه حريصًا على تربية الرأى العام المصرى والسمو به عن الغرض وعن الأشخاص ، وقصر الاهتمام على الأمور الوطنية الكبرى .

ومن آثاره الخالدة كذلك دعوته المثمرة فى إصلاح المحاكم الشرعية وإسهامه فى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، ثم انتخابه رئيسًا لها عام ١٩٠٠ ، ثم دعوته لتحقيق العدالة الاجتماعية ، ودعوته لإحياء الكتب العربية القديمة ، ثم الدور الكبير الذى قام به فى إنشاء الجامعة المصرية .

وكان مذهبه فى الإصلاح يقوم على ثلاثة محاور هى الإصلاح الدينى ، وإصلاح اللغة العربية ، والإصلاح السياسى .

وقد توفى الإمام الشيخ فى ١١ يولية ١٩٠٥ ، وهو فى أوج نشاطه دون أن يتوفر له من الوقت أو من الوسائل ما ينجز جميع مشروعاته الإصلاحية ، خاصة فى الأزهر الشريف ، والذى قال عنه بعد أن قدم استقالته منه :

ولست أبالى أنْ يُقَالَ مُحمدٌ … أبَلَ أم اكتظت عليه المآتمُ
ولكنَّهُ دينٌ أردتُ صَلاَحهُ … أُحَاذِرُ أنْ تقضى عليهِ العَمَائِمُ

وإن كان قد وضع اللبنات الأولى فى ثورة الشعب المصرى ثقافيًا ووطنيًا وسياسيًا .

واحتفلت مصر بأسرها حكومة وشعبًا بتشييع جنازته ، وكان يوم وفاته حِدادًا عامًا فى بلاد الشرق .

كان إمامًا واعيًا مطلعًا ، حر الفكر ، واسع الأفق ، محيطًا بأهم ما تنتجه قرائح المفكرين الغربيين ، وكان له أصدقاء عديدون ، شرقيون وغربيون ، وكان بينه وبين بعضهم مراسلات مثل : جوستاف لوبون ، وهربرت سبنسر ، وتولستوى ، وهانوتو ، وبلنت .. وغيرهم .

★ ★ ★



كريستوفر كولمبس

(١٤٥١ـ ١٦٠٦)

مكتشف العالم الجديد

فى عام ١٤٩٢ سقطت « غرناطة » آخر قلاع المسلمين فى الأندلس : أسبانيا الحالية ، وبدأوا عملية الرحيل الضخمة رغمًا عنهم .. وتسلمت الملكة الكاثوليكية المتعصبة ايزابيلا دى كاستيلا مفاتيح المدينة .. مدينة غرناطة .. وكانت هى نفسها التى قامت بتمويل رحلة كولمبس لاكتشاف العالم الجديد .. أمريكا بعد ذلك .

ولد كريستوفر كولمبس فى مدينة جنوة الإيطالية عام ١٤٥١ ، وعمل بحارًا ، وكان على معرفة عميقة بكل أحوال البحر والطقس وتقلبات المد والجزر .. وبدأ حياته كأعظم بحار عرفته البشرية مبكرًا .. ففى العشرين من عمره اهتدى إلى إحدى الجزر اليونانية اعتمادًا على حاسة الشم لديه .. كان اسم الجزيرة « ميريفولوس » وتعنى جزيرة الألف عبير .. وكان أيضًا يتمتع بحدة السمع والإبصار .. وقد كتب فرناندو كولمبس - ابنه - كتابًا عن والده ذكر فيه أوصافه الجسدية فقال : « كان رجلاً جيد الصنع ، لم يكن سمينًا ولا نحيفًا ، أنفه معقوف ، عيناه لامعتان ، كان أشقرًا ؛ ولكن ما أن بلغ الثلاثين من العمر حتى ابيض شعره تمامًا » .. وكان رجلاً ذا خيال عظيم .

كما كانت إحدى مميزات كولمبس الأخرى أنه كان رسامًا بارعًا للخرائط .. فقد اكتسب خبرة رائعة باستخدام خطوط الطول والعرض من خلال

العديد من المدارس التى كانت مقامة على أرصفة ميناء جنوة الإيطالى .. وسافر إلى البرتغال حيث درس أسرار المحيط الأطلنطى واكتسب معرفة بتيارات المد والجزر .. وقضى مدة أخرى فى الأندلس حيث قام بدراسة نظرية واسعة كانت هى الأساس لحياته العملية فيما بعد . فقد استطاع تجميع نصوص الكتب من كل العصور ، ووضع من خلالها تصوراً للعالم كما يجب أن يكون ، ولم يكن باقياً أمامه إلا أن يواجه لغز الأطلنطى الغامض .. وعلى حد تصورات اليونان والرومان والتى كانت تسود أوروبا فى القرن الخامس عشر - كان المحيط الأطلنطى هو نهاية العالم ! .. وأنه ليس بعد مضيق جبل طارق سوى مساحات شاسعة ولا نهاية من البحار المظلمة .

وكان كولمبس يعرف ذلك ؛ ولكنه كان يؤمن بأن هذا هو الطريق القصير إلى شواطىء الهند والصين .. وتولدت فى نفسه رغبة عارمة فى القيام بهذه المغامرة البحرية ؛ لكى يصل إلى بلاد الشرق الساحرة المليئة بالذهب والبهار .

ولم يجد من يمول له رحلته هذه غير ملكة أسبانيا إيزابيلا ، والتى كانت فى العادة منغلقة الذهن أمام أى فكرة جديدة ؛ ولكن كولمبس أقنعها بفائدة المشروع والمكاسب التى ستتحقق من ورائه .

ووافقت الملكة .. وتم تجهيز ثلاث سفن ، أكبرها هى سفينة القيادة « سانتا ماريا » ، ومعها سفينتان أقل حجماً ، وكان عدد البحارة الذين اصطحبهم كولمبس ١٢٠ رجلاً .. وكانت الأعلام المرفوعة على السفن أعلاماً أسبانية .

وأبحر كولمبس من ميناء « سافيل » الأسبانى ، إلى المحيط المجهول .. وكان بذلك أول من أبحر فوق الأمواج العالية دون معرفة واقعية بتقلبات الريح

ولا بدوامات الأمواج .. وقد ظهرت عبقرية كولمبس الحقيقية وهو يوجه سفنه الثلاث وسط طرق لم تسر فيها أى سفينة من قبل .

وكانت رحلة طويلة شاقة .. وقد فزع البحارة وفكروا فى العودة ؛ ولكن كولمبس أصر على المضى فى رحلته .. وبعد ٣٣ يومًا ، وفى ١٢ أكتوبر من عام ١٤٩٢ ، رأوا الأرض من بعيد .. ووصلوا إلى العالم الجديد .

وعاد كولمبس إلى أسبانيا ولقى استقبالاً عظيمًا .. ثم قام بأربع رحلات إلى الأرض الجديدة حتى عام ١٥٠٢ ، وظل طوال هذه المدة معتقدًا أنه وصل إلى الهند وأنه قد أصبح قريبًا من شواطىء الصين ! .. ورغم كل كميات الذهب والنحاس التى حصل عليها فقد مات وهو يحلم بالبهار ! .

وكانت الملكة قد وعدته بأن يكون حاكمًا على كل أرض يكتشفها ، ولم يكن كولمبس إداريًا ناجحًا ؛ ولذلك فسرعان ما أعادوه إلى أسبانيا مكبلاً بالسلاسل فى يديه وقدميه ! .

أما ما فعله كولمبس ورجاله بالهنود الحمر فى أمريكا فقد كان فوق الوصف .. فقد قتل وأسر الكثيرين منهم .. وعاملهم بمنتهى القسوة والوحشية ، وكأنهم حيوانات وليس بشرًا .. وكان بالنسبة لهم أسوأ من هتلر وهولاكو .

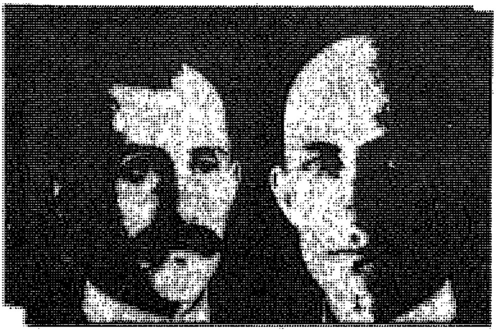
ولم تأخذ أمريكا اسمها هذا إلا بعد أن قام التاجر والرحالة الإيطالى « أميركو فيسبوتشى » بالطواف حول هذا العالم الجديد ، ووضع أول خريطة له لكى تأخذ دورها فى حدود العالم المعروف ، ومن ثم كانت تسمية القارة الجديدة بـ « أمريكا » نسبةً إليه لا إلى كولمبس مكتشفها الأول ! .

★ ★ ★

الأخـوان رايت

أورفيل رايت
(١٨٧١ - ١٩٤٨)
ولبور رايت
(١٨٦٧ - ١٩١٢)

حققا حلم البشرية



أورفيـــل رايت ولبــــور رايت

هـــذان الأخــوان الأمريكيـان استطاعــا أن يجـعــلا الحلم حـقـيـقـة ، والخرافة يقينًا ، وذلك باختراعهما الطائـرة ، حلـم البشرية القديـم ، وأمنيـة عبـاس بن فرناس ، وتصميمات ليوناردو دافنشي الموحية بالطيران ، وغيرهم .

ولد ولبور رايت عام ١٨٦٧ فى مدينة ملفيل فى ولاية إنديانا .. وولد أخوه بعد ذلك بأربع سنوات فى عام ١٨٧١ ، وذلك فى مدينة دايتون بولاية أوهيو .. وكان أبوهما قسيسًا ، وقد ألحقهما بإحدى المدارس ؛ ولكنهما سرعان ما طردا منهـا .. ولم يلتـحـقـا بأية مـدرسـة أخرى بعدها .. إلا أنـهـمـا واصلا المطالعة والدراسة بالاعتماد على جهودهما الذاتية ، ودون مساعدة من عالم أو معلم .. ولعل ما نجحا فى غرسه فى أنفسهما من شغف بالمعرفة وإقبال على طلب العلم ليضاهى كل ما تتمنى غرسه فى النفوس شتى المدارس والجامعات .

أضف إلى ذلك مـا فُطر عليـه الأخـوان من دأب وجلد .. فـقـد كـانا على استعداد لإعادة تجربة ما مئات المرات ، حتى يتخطيا ما وقعا فيه من خطأ .. وتيسر لهما استكمال ما بدءا صنعه أو اختراعه على أكمل وجه .

وقـد فُطر الأخـوان أيضًا على الميل إلى صنع الآلات والأدوات .. وفكهـا وتركيـبهـا .. وإصـلاحـهـا فى حـالة تلفهـا ، لا عجب إذن إن كانت صناعة آلات

المطابع هى العمل الأول الذى مارساه .. وصناعة الدراجات - فضلاً عن الاتجار بها - هو العمل الثانى الذى احترفاه سبيلاً إلى طلب الرزق .. ثم كان التحول الجذرى عن الدراجة إلى الطائرة .. أى من صنع الدراجة إلى اختراع الطائرة .. فقد حقق العلماء الفرنسيون نجاحًا فى اختراع البالون .. ونجح الألمان فى اختراع الطائرة الشراعية التى تطير بدون محرك معتمدة على الهواء وضغطه .. وأولى الأخوان رايت هذه الطائرة الشراعية جل اهتمامهما ، فانصرفا إلى الإحاطة بأعمال أوتو ليلنتال وتجاربه .. إذ كان هذا العالم الألمانى المعاصر هو رائد الطيران الشراعى ، وقد صنع ما يزيد على ألفى طائرة شراعية ، تحطمت إحداها به ، فأودت بحياته عام ١٨٩٦ .

واتفق أن ظهر فى أمريكا فى تلك الأثناء كتاب بعنوان « التقدم فى صنع الآلات الطائرة Progress in Flying Machine » .. وكان مؤلفه العالم الأمريكى المعاصر أوكتاف شانوت .. وقد بلغ من اهتمام هذا العالم بأعمال أتو ليلنتال ومنجزاته أن ضمن كتابه تفاصيل ما نجح فى تحقيقه العالم الألمانى ، وتفاصيل ما أخفق فى تحقيقه أى الطائرة ذات المحرك

وأقبل الأخوان رايت على التهام ذلك الكتاب وهضم محتوياته ، واتصلا بمؤلفه ، وطلبا منه المزيد من المعلومات .. حتى إذا فرغا من ذلك الكتاب ، اتخذا قرارهما الخطير .. قرار اختراع الطائرة ذات المحرك .. تلك التى عجز عن صنعها الكثيرون ، والتى مثلت حلم البشرية المنشود .

وفطن الأخوان إلى ضروره الإفادة من معلم آخر غير ليلنتال وشانوت . ولم يكن ذلك المعلم سوى الطيور . والصقور منها على وجه التعيين .. وهكذا انطلق أحد الأخوين (ولبور) يراقب الصقور فى طيرانها يومًا بعد يوم وشهراً بعد شهر .. وذلك عام ١٨٩٩ .. وظل يتابع مراقبتها ودراسة حركات أجنحتها حتى ادرك السر فى قدرة الصقور على الاحتفاظ بتوازنها فى الهواء .

وعمد الأخوان بعد ذلك على العمل على تنفيذ قرارهما الخطير .. وقد اتضح لهما منذ البدء أن ذلك العمل ينقسم إلى مرحلتين .. مرحلة الطيران ، مجرد الطيران واستيفاء شروطه بحيث يتسنى لهما صنع طائرة شراعية متقنة (بدون محرك ومروحة) ، ومرحلة المحرك والمروحة اللذين يُضافا إلى تلك الطائرة ، فيضمنان لهما الاندفاع فى الاتجاه الذى تريد ، والسفر وقطع المسافات حسبما تشاء .

واستغرقت المرحلة الأولى بضع سنوات (١٩٠٠ – ١٩٠٢) ، وقد نجح الأخوان فى نهايتها بصنع طائرة شراعية مجهزة بأجنحة مزدوجة ، تكفل لها الإقلاع والهبوط ، ومزودة بدفة فى الذيل تضمن للطائرة الانحراف أو الاستدارة ذات اليمين وذات اليسار ، هذا إلى جانب الرفراف فى الأجنحة الذى يساعد الطائرة على التحكم بتوازنها فى الهواء .

ثم كانت المرحلة الثانية .. وقد بادر الأخوان إلى صنع المحرك والمروحة المناسبين ، وقد تعذر العثور عليها فى الأسواق.. وتكللت تلك المرحلة بصنع الطائرة الأولى التى سمياها (فلاير ١) Flyer 1 والتى طار بها أحد الأخوين فى كيتى هوك بولاية كارولينا الشمالية بتاريخ ١٧ ديسمبر عام ١٩٠٣ .

ومن طريف ما يذكر عن تلك الطائرة الرائدة أن وزنها لم يزد على ٧٤٥ رطلاً إنجليزيًا ، وقوة محركها لم تجاوز ١٢ حصانًا .. وأن ارتفاعها فى الجو لم يبلغ أكثر من (١٠) أقدام ، وأن المسافة التى قطعتها بلغت ١٢٠ قدمًا فحسب .. وكانت كالطائرة الشراعية التى سبقتها ، ذات أجنحة مزدوجة علوية وسفلية وبلا دواليب .

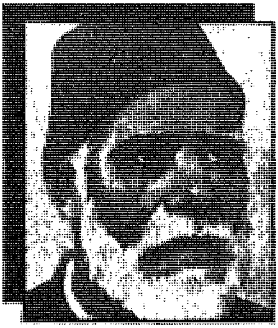
ومهما يكن من أمر ، فقد كانت (الفلاير ١) هى نواة الطائرات المحسّنة التى صنعها الأخوان رايت بعد ذلك ، وسمياها (فلاير ٢) و (فلاير ٣) ، وكذلك نواة الطائرات النفاثة والصواريخ وسفن الفضاء والأقمار الصناعية ،

ولو ذكرنا أن تقنية الطيران لم تكن بحاجة إلى أكثر من ٦٦ عامًا ليتمكن الإنسان من الهبوط على سطح القمر عام (١٩٦٩) ، لأدركنا مدى التقدم الهائل الذى أحرزته تلك التقنية .. وتجدر الإشارة إلى أن بيع طائرات الأخوين تأخر حتى عام ١٩٠٨ ، حين وقعا عقود الشراء مع سلاح الجو الأمريكى وإحدى الشركات الفرنسية .. ولعل أهم العوامل التى أدت إلى ذلك التأخر كان حرص الأخوين على التكتم على سر اختراعهما ، والامتناع عن عرض طائرتهما قبل ضمان بيعها .

وفى عام ١٩١٢ أصيب ولبور بالتيفود ، وتوفى فى الخامسة والأربعين من عمره ، وباع أخوه أورفيل نصيبه من شركة صناعة الطائرات ، وعاش حتى توفى عام ١٩٤٨ .

ولم يتزوج الاثنان .

★ ★ ★



علــى مبــارك

(١٨٢٣-١٨٩٣)

أبو التعليم

ولد على باشا مبارك ، العالم والمهندس والوزير والمصلح الكبير ، فى قرية « برنبال الجديدة » بمركز دكرنس بالدقهلية عام ١٨٢٣ ، وتعلم القرآن وحفظه فى مدى عامين .. وأعرض عن مواصلة تعليمه ليكون شيخًا ورجل دين ، واتجه إلى كاتب ليعلمه الكتابة والحساب ، ثم التحق بخدمة مأمور زراعة فى الشرقية له مكانة مرموقة ، وعلم أن هذا المأمور كان مملوكًا لسيدة ذات شأن .. وألحقته هذه السيدة بمدرسة « قصر العينى » التى يتخرج فيها من يتولون زمام الأمور فى مصر ؛ لأنهم يتعلمون فيها الحساب والهندسة والخط واللغة التركية .

كان خط على مبارك جميلاً ، وميله إلى العلوم المدنية شديداً ، فهرب إلى القاهرة والتحق بتلك المدرسة التى تمناها ، ولقى فى سبيل ذلك كثيراً من العناء ، والآلام المرضية والنفسية ؛ ولكنه أظهر نبوغاً وتفوقاً ملحوظين جعل المسئولين يختارونه فى مدرسة المهندسخانة ، وظل يدرس فيها حتى عام ١٨٤٤ .

ثم وقع عليه الاختيار ليسافر فى بعثة دراسية إلى فرنسا مع أبناء « محمد على » أنفسهم ، واستطاع بجده ومثابرته أن يتعلم الفرنسية ويتقنها حتى تفوق على أقرانه جميعًا .. وتم اختياره مع زميليه (حماد بك وعلى باشا إبراهيم)

لدراسة المدفعية والهندسة الحربية فى كلية « ميتز » فى فرنسا ، ونال وهو فيها رتبة « ملازم ثان » ثم التحق بمدرسة المهندسين في الجيش الفرنسى ، ولم يكمل برنامج البعثة بالارتحال إلى جميع بلدان أوروبا ، وبعد وفاة الوالى ، « إبراهيم باشا » وتولى « عباس الأول » زمام الحكم أمر بعودته وعودة زميليه من فرنسا حوالى ١٨٥١ .

وعند عودته إلى مصر أنعم عليه برتبة اليوزباشى « النقيب » وأسندت إليه وظيفة مدرس بمدرسة « طره » ثم عمل مع كبير المهندسين « جاليس بك » ثم اختاره عباس الأول وزميليه حماد بك وعلى إبراهيم ، ليكونوا فى حاشيته مع إشرافهم على امتحان المهندسين ، ثم أنعم عليه برتبة الصاغ « رائد » ورافقوه إلى الصعيد ، وبعد عودتهم عملوا بالقناطر الخيرية .

وكلفه عباس الأول بوضع قانون للمدارس المصرية ، مع تخفيض نفقاتها ، فنجح فى ذلك نجاحًا كبيرًا .. حيث أخفق كثيرون ، فأُنعم عليه برتبة الأميرالاى « عميد » ، ثم اختاروه بعد ذلك ناظرًا (وزيرًا) للمعارف ، وكان بذلك أول مصرى تولى أمر هذه الوزارة ، ثم منحه ثلاثمائه فدان .

ولما تولى سعيد الحكم ، استمع إلى وشاية الحاسدين ، فنقم على « على مبارك » ، ونحاه عن نظارة المعارف ، وألحقه بفرقة الجيش التى سافرت إلى تركيا لمساعدتها فى حربها ضد روسيا عام ١٨٥٤ .. وقد تمكن بفطنته وذكائه أن يكسب عطف المسئولين فى تركيا ، وزار بلدانًا كثيرة بها ، وتعلم التركية وأتقنها ، وحصل على معلومات وخبرة طيبة .

ولما عاد إلى مصر بعد عامين ونصف العام ، أى فى منتصف عام ١٨٥٧ ، وجد نفسه مفصولاً من الجيش ومن أى عمل يصلح لممارسته ، وتنكر له حتى من آزرهم حين كان ناظرًا للمعارف ، فعاش فى كفاح مرير مع الحياة ، وكان قد فقد « الثلاثمائة فدان » كذلك .. وعندئذ تهيأ لترك القاهرة

ليعيش في قريته ؛ ولكن ناظر الحربية « إسماعيل باشا الفريق » طلب منه أن يعاونه في عمل بعض الرسوم لمناورات حربية ، فلما أتقن ذلك العمل وعلم به سعيد من ناظر الحربية ، عيَّن علي مبارك مهندسًا لنصف الوجه القبلى ، كما تولى إنشاء استحكامات « أبو حماد » ، ثم عمل معلمًا للضباط .

ولكن ذلك جميعه لم يخفف من أزمته المالية ، إذ لم تكن تلك الوظائف تدر عليه الكثير ، فاحترف حرفة المزابدات بعد فصله من حاشية الخديوى مع آخرين ، توفيرًا لنفقات رحلة قام بها سعيد إلى أوروبا .

ولما توفى سعيد وجاء الخديوى إسماعيل ، ألحقه بحاشيته ، ووكل إليه أمر الإشراف على القناطر الخيرية ، وأفادت مصر من خبرته الهندسية العظيمة فى كل المجالات ، وفاق بعبقريته جميع المهندسين المصريين وغير المصريين .

وفى سنة ١٨٦٥ ، اختاره إسماعيل نائبًا عن الحكومة المصرية فى المجلس الدولى الذى تشكل لتقدير الأراضى التى تخص « شركة قناة السويس » ، ثم اختاره عام ١٨٦٥ وكيلاً لنظارة المعارف مع بقائه مشرفًا على القناطر ، ثم ندبه بعد ذلك للسفر إلى باريس فى شأن من الشئون المالية ، ثم اختاره بعد عودته من باريس ليشغل وظيفة مدير للسكك الحديدية ، وناظرًا للمعارف والأشغال وذلك مع بقائه فى حاشيته .

أُنعم عليه برتبة « ميرمران » تقديرًا لجهوده وكفاءته ، إذ ازدهر التعليم فى عهد توليه شأنه ازدهارًا لم يسبق له مثيل ، فأنشأ كثيرًا من المدارس ، وجمعها فى القاهرة فى درب الجماميز ليسهل إشرافه عليها ، واهتم بالكتاتيب فى الأقاليم ، كما أنشأ دار العلوم ودار الكتب .

أصلح كثيرًا من المساجد والتكايا والأسبلة ، ونسَّق كثيرًا من شوارع القاهرة ، وأنشأ جسر قصر النيل بين القاهرة والجيزة ، ورصف بعض الشوارع

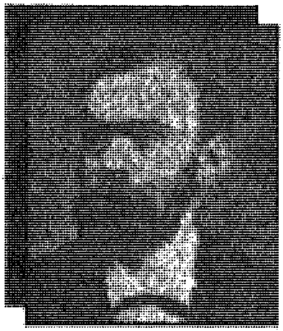
وغرس فيها الأشجار ، وحوّل مجرى النيل عند « منفلوط » ، وكشف عن خزان أسوان ، وأجرى تعديلات فى هندسة القناطر الخيرية متفوقًا بذلك على المهندس الأوروبى « موزيل بك » ، وقام بإصلاحات كثيرة لا حصر لها فى شئون الرى والزراعة ، تكشف عن عبقرية فذة .

فى ١٩ نوفمبر ١٨٦٩ ، أشرف على تنسيق الاحتفالات والاستقبالات بمناسبة افتتاح قناة السويس فى براعة ونجاح لا مثيل لهما ، وقد منحه الخديوى لذلك « النيشان المجيدى » من الدرجة الأولى ، ونال أيضًا نياشين رفيعة من إمبراطور النمسا وإمبراطور فرنسا وملك بروسيا .. واختاره عرابى مع آخرين للوساطة بين رجال الثورة والخديوى توفيق علّه يجد تسوية للخروج من هذه الفتنة ؛ ولكن دسائس العناصر الاستعمارية وخيانة الدخلاء على المصرية والمصريين عجلت بهزيمة عرابى واحتلال الإنجليز لمصر .

شغل علي مبارك منصب الوزير فى عدة وزارات وفى عهود كثيرة : عهد عباس الأول ، وعهد إسماعيل ، وعهد توفيق ؛ ولكنه لم يشترك فى وزارة نوبار باشا الموالية للاستعمار والأجانب ، ثم اشترك فى وزارة رياض باشا من منتصف يوليو ١٨٨٨ إلى ١٥ مايو ١٨٩١ .. ولما استقالت ظل بعيدًا عن الحكم إلى أن مات فى ١٤ نوفمبر عام ١٨٩٣ .

مات مأسوفًا عليه من الأمة بأسرها حكومة وشعبًا ، وأشادت بفضله وجهاده فى ميادين العلم والمعرفة والهندسة .. وأغلقت المدارس يوم وفاته حدادًا عليه .. عاش عملاقًا ومات عملاقًا ، وساهم بنصيب كبير فى شئون التربية والتعليم وفى شئون الهندسة والتنظم وشئون الرى والزراعة .

★ ★ ★



ألفريد نوبل

(١٨٣٣-١٨٩٦)

عالم وجائزة

إنه العالم السويدى الذى اخترع الديناميت ، ومتفجرات أخرى .. كان عالم كيمياء ومهندساً ورجل صناعة .. وكان فوق ذلك كله رجل سلام .. ولعل جوائز نوبل التى توزع على المتفوقين من علماء وأدباء العالم فى أواخر كل عام حققت له من الشهرة ما لم يحظ به غيره من العلماء .

ولد ألفريد نوبل فى استكهولم بالسويد فى الواحد والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٨٣٣ ، وكان أبوه (عمانويل نوبل) مهندساً وميالاً إلى الاختراع بالفطرة .. وقد ورث نوبل عنه النزعة إلى الابتكار ، وتشرب الكثير من مبادىء الهندسة .. وقل مثل ذلك فى أحد أجداده لأمه (أولوف رودبك) مكتشف الأوعية اللمفية .. فقد استلهم نوبل ذكرى الجد العالم .

ولم يطل بقاء عائلة نوبل فى استكهولم ، وقد اضطرت إلى التوجه إلى سان بطرسبورج والاستقرار فيها ، وذلك بسبب أعمال الأب ، كان ذلك عام ١٨٤٢ ، حيث كان تلميذاً صغيراً لم يجاوز التاسعة من العمر .. غير أنه تتلمذ على يد مدرسين خاصين ، ولم يعتمد على الدراسة النظامية فى المدارس .. وبلغ من مواهبه وكفاءته أنه أتقن خمس لغات ، وأصبح عالم كيمياء

وهو فى السادسة عشرة من عمره .. ثم توجه إلى باريس عام ١٨٥٠ ، وأمضى فيها سنة كاملة ، قضاها فى أحد مختبراتها حيث تابع دراسة الكيمياء .

وذهب نوبل بعد ذلك إلى العالم الجديد .. إلى أمريكا .. حيث عمل تحت إشراف المهندس الأمريكى السويدى المعروف (جون أريكسون) ، الذى عهد إليه ببناء السفينة الحربية المصفحة بالحديد (مونيتور) .

وعاد نوبل بعد أربع سنوات إلى بلاده للعمل فى مصنع أبيه حتى عام ١٨٥٩ ، حين أفلس المصنع وتوقف عن العمل .

وما أسرع ما أسس نوبل مصنعًا خاصًا به لإنتاج النيتروجلسرين ، ذلك المتفجر السائل الخطير ؛ ولكن مصنعه هذا ما لبث أن تفجر عام ١٨٦٤ ، فأودى بحياة خمس رجال ، كان أحدهم أخوه الأصغر (إميل) .. وحاول نوبل إنشاء مصنع ثان بلا طائل ، فقد حالت السلطات السويدية دون ذلك ، نظرًا لخطورة صنع المتفجر السائل ، ولحماية أرواح المواطنين .. وما كانت تلك الاجراءات لتمنعه من ممارسة صناعة استأثرت بجوارحه ، حتى أصبح يعرف بـ « العالم المجنون » .. فواصل أعماله وتجاربه على مركب عائم فى مياه النهر ، وركز تجاربه تلك على إيجاد طريقة تضمن « ترويض » النيتروجلسرين والتحكم فيه .. فقد كانت المادة الخطرة المتمردة التى استعصت على كل محاولات السيطرة ، وتسببت فى كثير من القتل والدمار منذ أن اكتشفها العالم الإيطالى (سوبريرو) عام ١٨٤٦ .. ومضت ثلاث سنوات قبل أن ينجح نوبل فى تحويل سيولة النيتروجلسرين إلى جفاف ، والحد بذلك من مخاطرها أو القضاء عليها .

وقد تسنى له ذلك بواسطة مادة تغليف عضوية .. كالفحم النباتى مثلاً ، تمتص النيتروجلسرين ولا تسمح بتفجيرها إلا بواسطة كبسولة خاصة بذلك ..

ورحبت السلطات المعنيـة فى بريطانيا والولايـات المتحدة باختراع نوبل الجديد (الديناميت) ، فسجلته له عام ١٨٦٧ وعام ١٨٦٨ على التوالى .

ومضى نوبل فى تجاربه حتى طوّر الجيلاتين المتفجر القوى من الديناميت ، ثم صنع البالستايت المتفجر الفعّال ، الذى لا يتصاعد منه دخان .. وقد أراد نوبـل أن يصنـع كـذلك مـادة الكوردايت البـالغة التـفـجـير ، بعـد اختـراعـه البالستايت .. ولكن الحكومة البريطانية عارضت فى ذلك ، ومن ثم كانت القضية التى نظرت فيها المحاكم عام ١٨٩٤ و ١٨٩٥ ، والتى خسرها نوبل .

ومـا أطرف مـا يذكر عن نوبل اعـتـقـاده بأن نجـاحـه فى التـحكم فى مـادة النيـتروجلسرين (الديناميـت) ، والسيطرة على مـخـاطرهـا ، يؤدى حتـمًا إلى التحكم فى الحروب والقضـاء على أهوالها .. ولكن نظرته إلى الطبيعة البشرية ، وتقصيه حقيقة سلوك الدول ونواياها ، مـا لبث أن أشعـره بسذاجة معـتقداته الأولى وتمنياته .

من هنـا كـان إقدامـه على التـوجيه بتـخـصـيص مـا يُعادل مليونى جنيـه استـرلينى من ثروته الكبيـرة ، (والتى قدرت حين وفاته بأكثـر من ٣١ مليـون كرونر سـويدى) ، لتوظـف وتستـثمـر على نحـو لائق ، ثم توزع الأرباح السنوية فى شكل جـوائـز على كل مــن أدى فى العــام السـابــق أعظــم خــدمـة للجنـس البشرى ، فى مجـالات خمـس هـى : الفيزيـاء ، والكيميـاء ، والطب أو الفسيولوجيا ، والأدب ، والسلام العالمى .

وفى الثمانينات أضيف إليها مجال الاقتصاد .. وقد بدأت جوائز نوبل من عام ١٩٠١ ، وقد تمنح الجائزة الواحدة لواحد أو اثنين أو ثلاث .

وحصل نوبل فى حياته على ٣٥٥ براءة اختراع صناعى وعلمى .

وكانت له ميول أدبية ، وكان ينظم الشعر بالإنجليزية ؛ ولكنه لم يترك لنا نتاجًا أدبيًا .. عاش أعزبًا طوال حياته ، ولم يتزوج ، وتوفى فى سان ريمو بإيطاليا فى العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٦ .

ومع كل الشهرة العظيمة التى اكتسبها من مخترعاته ، كان مطبوعًا على الحزن والاكتئاب منذ الصغر ، وكان انطوائيًا إلى حد ما ، رافضًا للمجد وألوان التكريم .

كتب يومًا عن نفسه فقال :

« ألفريد نوبل البائس ، نصف الحى ، كان يجب على مولِّد خيِّر أن يكتم أنفاسه حتى الموت ، عندما سمع أول صرخة دخل بها الحياة ! .

مزاياه : ينظف أظافره ، ولا يحب أن يثقل على أحد .

نقائصه : بغير أسرة ، كئيب ، سيىء الهضم .

أهم رغباته : ألا يُدفن بقية حياته . » .

ومن العجيب أنه أوصى قبل موته بألا يُدفن إلا بعد وفاته بثلاثة أيام ، حتى يتأكدوا من أنه قد مات بالفعل ! .

★ ★ ★

أفـــلاطـون

(٤٢٧ـ٣٧٠ ق.م)

صاحب المدينة الفاضلة



إنه الفيلسوف الإغريقى أفلاطون ، بداية فلسفة الغرب السياسية ، وكذلك بداية الفكر الأخلاقى والإلهى ، وقد درس العالم كله أفكار هذا الرجل أكثر من ٢٣٠٠ عام ، وهو لذلك يعتبر أعظم أباء الفكر الغربى كله .

ولد من أسرة غنية فى مدينة أثينا باليونان ، وهو شاب صغير عرف الفيلسوف سقراط وظل صديقًا له ومتحدثًا باسمه .. وفى عام ٣٩٩ ق . م ، حوكم سقراط بتهمة إفساد عقول الشباب وأُعدم ، وكان فى السبعين من عمره .. وترك هذا الإعدام أثرًا سيئًا فى نفس أفلاطون ، الذى احتقر الحكم الديمقراطى حتى الموت ! .. فقد أعدمت الديمقراطية رجلاً وصفه أفلاطون بأنه : « أحكم الناس وأعدلهم وأعظمهم جميعًا » .

وترك أفلاطون مدينة أثينا بعد ذلك ، وأمضى عشرًا أو اثنتى عشرة سنة فى الخارج .. وحتى عام ٣٨٧ ق . م عاد أفلاطون إلى أثينا وأسس مدرسة هناك وأسماها « الأكاديمية » .. وظلت الأكاديمية تؤدى عملها أكثر من تسعة قرون ، وكان من أشهر تلامذته فيلسوف عظيم هو « أرسطو » فقد جاء إلى هذه الأكاديمية وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وكان أفلاطون فى الستين من عمره .

وألف أفلاطون ٣٦ كتابًا ، أكثرها عن السياسة والأخلاق ، وكذلك عن أمور مابعد الطبيعة وعن الإلهيات .. إلا أن أهم هذه الكتب على الاطلاق هو كتاب « الجمهورية » ، الذى يعرض فيه المجتمع المثالى الذى يحلم به .

فيرى أفلاطون أن أحسن حكم هو الحكم الأرستقراطى ، وهو لا يعنى بذلك أن يحكمنا الأرستقراطيون أو الملوك الذين يتوارثون العرش ، إنما يقصد الأرستقراطية الفكرية ، أى حكم يتولاه أحسن الناس وأحكمهم .. وهؤلاء الناس يتم اختيارهم لا عن الانتخابات أو الاستفتاء ، وإنما عن طريق الاختيار المتبادل للحكماء أنفسهم ، وهؤلاء الناس المختارون وهم حراس الدولة يجب أن يختاروا آخرين إلى مصاف الحكومة ، ويكون الاختيار على أساس القيمة الحقة للإنسان .

ويرى أفلاطون أن الرجال والنساء يجب إعطاؤهم فرصًا متكافئة فى إدارة شئون الدولة ، وأفلاطون هو أول فيلسوف يقرر المساواة للرجل والمرأة ؛ ولكى تكون الفرص واحدة أمام الجميع ، رأى أن تتولى الدولة تربية الأطفال .. وهؤلاء الأطفال يجب أن يتلقوا تعليمًا رياضيًا بدنيًا ، ولا يصح تجاهل الموسيقى والرياضيات أيضًا .. ويجب إجراء الامتحانات فى كل مرحلة من مراحل نمو الأطفال ، والطلبة الفاشلون يجب تحويلهم إلى دراسة الاقتصاد ، أما الطلبة الناجحون فالدولة تمضى فى تعليمهم ، كأن يتعلموا إلى جانب الدروس العادية موضوعات الفلسفة .

وفى سن الخامسة والثلاثين ، وبعد أن يثبت هؤلاء الطلبة كفاءتهم العظيمة ، فإننا يجب أن نعلمهم ١٥ سنة أخرى فن الإدارة العملية لشئون الدولة .. والناجحون فقط هم الذين يحق لهم أن يقوموا بوظيفة حراس المدينة ، أو حراس الدولة .

وهذه الوظيفة لا تروق لكل الناس .. إنما بعض الناس هم الذين يفضلون هــذا العـمــل على أى شىء آخــر .. لأن حــارس المدينــة يجب ألا يكون غنيًا ولا يُسـمح له إلا بقـدر قليل من امـتلاك الأشـيـاء والأمـوال ، ويتـقـاضـى مـرتبًا مـحدودًا ضـئيـلاً ، ولا يحـق لـه أن يملك شيئًا مصنوعًا من الذهب أو الفضـة ، ولا تكون له حـيـاة خـاصـة ، وإنمـا كل حـراس المدينة يجب أن يعـيـشـوا مـعًا ، ويأكلون ويشربون معًا .

هؤلاء هم الملوك الفلاسفة .. أى العقلاء الذين يتفرغون تمامًا لحكم الدولة وإدارة شئونها .

فإذا حدث ذلك فهذه هى الجمهورية الفاضلة أو الدولة المثالية كما تمناها أفلاطون .. وقد ظل هذا الكتاب – كتاب الجمهورية – فى أيدى الناس ، يقرأونه ويتأملونه ٢٣ قرنًا .. وعلى الرغم من تنوع أشكال الحكم منذ أيام أفلاطون حتى اليوم ، فإن أحدًا لم يتبع سياسة هذه الدولة المثالية التى كان يحلم بها .. ولم تكن هذه الدولة الأفلاطونية أساسًا لأى نظام من هذه النظم .

وقد توفى أفلاطون عام ٣٤٧ ق . م وكان فى الثمانين من عمره .

وقد أثرت أفكاره وفلسفته فى الناس تأثيرًا كبيرًا لمدة طويلة من الزمان ، وكان تأثيره أعظم من التأثير الذى تركه جون لوك الإنجليزى أو فولتير الفرنسى أو توماس جيفرسون الأمريكى .

★ ★ ★

فلورانس نايتنجيل

(١٨٢٠-١٩١٠)

السيدة صاحبة المصباح



هى السيدة التى خدمت البشرية وأسدت إليها صنيعًا جميلاً ، ستظل تذكره لها بكل العرفان والتقدير ، وسيعترف الألوف من بنات جنسها اللواتى حملن الشعلة من بعدها ليصبحن عاملات فى أشرف وأنبل مهنة ، مهنة التمريض ، بأنها صاحبة الفضل عليهن جميعًا ، وأنها قد أنارت لهن ذلك الطريق الذى كان مظلمًا وممتهنًا من قبل .. إنها فلورانس نايتنجيل ، السيدة « صاحبة المصباح » كما أسموها ، و« المرضبة الأولى » المرأة التى شقت طريقها وسط الأشواك ، وأزاحت بيديها الطين والوحل اللذين كانا يغطيان أجساد المرضى والجرحى فى المستشفيات ، وأفنت شبابها وعمرها لكى ترتقى بمهنة التمريض ، وتحسن من أداء الممرضات ، وتجعل منهن « ملائكة الرحمة » .

ولدت فلورانس لأبوين إنجليزيين ثريين ، بمدينة فلورانس بإيطاليا ، ويوم ١٢ مايو عام ١٨٢٠ .. وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى المدينة التى ولدت فيها ، فقد كان من عادة أبويها أن يحمل أطفالهم اسم المدينة التى يولدون بها ! .

وشبت الفتاة ، وتعلمت ، وكانت تعيش عيشة هانئة وادعة فى ظل أبويها اللذين كانا من أغنياء لندن ، وكانت تربطهما بكبار رجال السياسة ونجوم

المجتمع علاقات قائمة على الصداقة والاحترام المتبادل بحكم مركزهما الاجتماعى المرموق .. ورغم ذلك ، أحست نايتنجيل بأنها تحيا حياة « ضائعة » ليس لها معنى .. وبحثت عن شيء تفعله .. ولما أن كان لها قلب كبير ، ورغبة قوية فى خدمة الناس جميعًا ، قررت أن تعمل على تخفيف آلام البشرية ، وتقوم بالإصلاحات التى مست الحاجة إليها فى المستشفيات .. فقد شعرت بالعطف العميق لجموع المرضى والجرحى الذين لاقوا حتفهم بسبب الفوضى والإهمال والفساد والانحطاط الذى وصلت إليه مهنة التمريض وقتها .. إذن لقد قررت الفتاة أن تعمل « ممرضة » .. وصُعق والداها ، إذ كيف يتركانها تتردى فى هذه الهاوية .. هاوية العمل فى ظل الظروف المخيفة والمُهينة التى كانت تسود المستشفيات فهى مهنة التمريض فى ذلك الوقت .

وبذل الوالدان كل جهد فى سبيل إقناع ابنتهما بالعدول عن اختيار هذه المهنة ، فأرسلوها فى رحلات طويلة مع الأصدقاء خارج المدينة ، لعلها تنسى .. ولكن أسفارها لم تزدها سوى إصرار فوق إصرارًا على المضي فى الطريق الذى اختارته لنفسها .

وفى عام ١٨٤٩ زارت مدينة الإسكندرية فى مصر موفدة من جمعية « سان فنسان دى بول » حيث قامت بزيارة المستشفيات والمدارس التابعة لهذه الجمعية الدينية .. وهناك ، ولأول مرة ، تعلمت نايتنجيل شيئًا جديدًا .. تعلمت النظام وأثره فى إدارة المستشفيات .. ثم عادت تطوف بدول أوروبا باحثة عن كل ما يمت إلى عمل الخير بصلة .. وادركت أنها لابد وأن تفعل شيئًا هامًا وجديدًا لتلك المهنة التى أحبتها .. وبدأت تعمل من حيث كان يجب عليها أن تبدأ .. من المدرسة أو المعهد الذى افتُتح لإعداد الفتيات لمهنة التمريض ، وهو معهد « فليدنر » الذى يطل على نهر الراين فى باريس .. واستطاعت أخيرًا أن تتغلب على معارضة والديها القوية .

وبدأت تعيش حياتها الجديدة .. كانت تصحو من نومها فى الفجر ، وتؤدى كل الأعمال الصغيرة ، وتشارك راهبات المعهد وطالباته وجباتهن الجافة ، وتستمع إلى المحاضرات التى كانت تُلقى عليهن فى فن التمريض .. كانت حياة قاسية غير التى تعودت عليها فى كنف والديها ؛ ولكنها كانت تجربة عظيمة ومحببة إليها .

وعادت إلى انجلترا .. وكانت تقضى الجانب الأكبر من يومها فى دراسة أحوال المستشفيات فى مدينتى لندن وأدنبرة .. وأخذت تنادى بإقامة أول معهد للتمريض فى بلادها .. وبالفعل .. تحققت أمنيتها ، وأنشىء المعهد عام ١٨٥٣ ، وأُسندت إليها فيه مهمة إدارته ، وقد أسموه « معهد السيدات النبيلات للعناية بالمرضى » .

وكان بيتًا صغيرًا للتمريض يجمع السيدات الرقيقات خُلُقًا وحالاً .. ونجحت نايتنجيل فى عملها الجديد ، فلم تكد تنقضى فترة قصيرة من الزمن حتى انتقل المعهد إلى مبنى أكبر وأضخم ليصبح قادرًا على استيعاب الأعداد المتزايدة من الممرضات اللواتى أقبلن على الالتحاق به .. وبدأت نايتنجيل لأول مرة تطبق نظرياتها العلمية الجديدة فى علاج المرضى ، وكانت أولها النظافة التامة ، ثم الإصرار على فتح النوافذ والسماح للهواء النقى بدخول الغرف حتى فى أيام الشتاء الباردة .

وتغير حال المرضى ، وبدأت جيوش المرض والجراثيم تتراجع أمام نسمات الحياة ، وقصرت فترة علاجهم وغادروا المستشفى وهم أكثر ما يكونون صحة وعافية .. وبدأ الناس يتحدثون عن هذه « الساحرة » التى تعالج مرضاها بالشمس والهواء .. وذاع صيتها بعد الإصلاحات الكبيرة التى ادخلتها على نظم التمريض وأساليبه .

وبدأت نايتنجيل تستعد لخوض تجربة جديدة أكبر ، عندما أُسند إليها منصب مديرة الممرضات فى مستشفى كلية الملك ؛ ولكن شاء القدر أن يتيح لهذه المرأة فرصة العمر لتأدية الرسالة التى حملت لواءها .. فقد اندلعت حرب القرم فى عام ١٨٥٤ بين روسيا من جهة ، وبريطانيا وتركيا وفرنسا وسردينيا من جهة أخرى ، ونقلت صحيفة « التيمس » البريطانية صرخة من ميدان القتال باسم الجرحى الذين كانوا يتساقطون بالمئات بعد النصر الذى حققه الإنجليز فى تركيا ، ويموتون يوميًا بالعشرات نتيجة افتقارهم للإسعافات والتمريض .

وجاءتها الدعوة سريعة ، فأسرعت هى الأخرى إلى تركيا ، وجمع المرضى والجرحى فى مبنى من مبانى الجيش المهجورة ، أى ليس مستشفى أو مصحًا ، ومع ذلك فقد بذلت نايتنجيل جهودًا جبارة فى مهمتها الجديدة .. وقد نجحت بالفعل .. وحولت ذلك المبنى العسكرى إلى مستشفى يتوفر فيه الشروط الصحية والإدارية اللائقة بأعمال التطبيب والتمريض .. ولو علمنا أن نسبة الموتى بين الجرحى الذين كانوا يعالجون فى ذلك المبنى كانت ٤٤٪ قبل اضطلاع نايتنجيل بأعباء إدارته ، ثم هبطت تلك النسبة بفضل جهود تلك الفتاة إلى ٢٪ لأدركنا أنها فعلاً من النساء العظيمات .. ولم يكن عمرها وقتها قد تجاوز الرابعة والثلاثين .

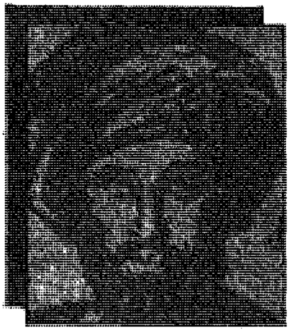
وبفضل نجاحها هذا ، أشاد بها الجميع ، وبعثت الملكة فيكتوريا ، ملكة بريطانيا حينذاك ، بتحية خاصة إليها من قصرها فى لندن ، فزاد احترام الرجال لها ، وأحنوا رؤوسهم إجلالاً وإكبارًا .. وبعد انتهاء الحرب التى استمرت لأكثر من عامين ، عادت إلى لندن لتطبق النظم التى استحدثتها ، والمبادىء التى وضعتها فى جميع مستشفيات بلادها .

وجمع الشعب البريطانى خمسين ألف جنيه ، قدموها لها هدية ، تقديرًا للخدمات التى أدتها خلال الحرب .. وتسلمت نايتنجيل هديتها لتقدمها بدورها

لبناء « بيت نايتنجيل » لتدريب الممرضات بمستشفى سانت توماس .. وهو البيت الذى مازال قائمًا يحمل اسمها حتى اليوم .. وفى عام ١٩٠٧ كانت أول امرأة تُمنح وسام الاستحقاق ، وكانت قد قاربت العام التسعين من حياتها الحافلة بالعمل .. وضعف بصرها ، وبدأت تفقد ذاكرتها .. وتوفيت فلورانس نايتنجيل فى اليوم الثالث عشر من أغسطس عام ١٩١٠ .

وبكت الملكة فيكتوريا عندما نقلوا إليها نبأ رحيل صديقتها عن الدنيا ، السيدة « صاحبة المصباح »

★ ★ ★



رفاعة الطهطاوى

(١٨٠١-١٨٧٣)

نابغة عصره

أحد العلماء المصريين الذين ارتفع اسمهم فى القرن التاسع عشر ، وأحد المبعوثين المصريين إلى أوروبا الذين كان لهم أثر محمود فى حياة مصر الثقافية ، والنهضة الفكرية فى البلاد .. إذ كان أول « عين » لنا فى أوروبا .

ولد رفاعة الطهطاوى فى طهطا بمحافظة سوهاج عام ١٨٠١ ، ويرفع مؤرخوه نسبه من ناحية أبيه إلى الحسين بن على - رضى الله عنهما .

وقد تلقى علومه الأولى فى طهطها حيث حفظ القرآن وألمَّ بأصول القراءة والكتابة ، وتنقل فى مدن الصعيد حتى وفد إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر عام ١٨١٧ ، ومكث يدرس فيه خمس سنوات بعدها أصبح أهلاً للتدريس فيه وهو فى الحادية والعشرين من عمره .

.وفى الأزهر صار أستاذًا مُجدًا فى الأزهر ممتازًا فى سلوكه ، فأقبل الطلاب على درسه وأفادوا منه كثيراً ، وقد درس لطلابه الحديث والمنطق والبيان والبديع والعروض وكان يتردد على بلدته ويُلقى الدروس فى جامعها ، إذ كان يحبها حبًا جمًا .

وكان رفاعة موفقًا ، حسن الأسلوب ، حسن الإلقاء ، سهل التعبير ؛ ولذا كانت دروسه خاصة بالطلاب والمستمعين إليه .

تتلمذ على أستاذه الكبير « حسن العطار » فى الأزهر ، وكان أستاذه هذا متطورًا سابقًا لعصره ، طاف بكثير من البلاد ، وزار الشام والأستانة وأقام بها سنوات ، واتصل بعلماء الحملة الفرنسية التى نزحت عن أرض مصر عام ١٨٠١ وأفاد منها كثيرًا ، وقد كان له أثر كبير فى توجيه رفاعة ، إذ كان يتلقى عنه دروس التاريخ والجغرافيا والأدب ، وغير ذلك من العلوم العصرية التى نبغ فيها رفاعة فيما بعد .

وقد أحب الشيخ العطار تلميذه ، وفرح به نابغًا بعد تخرجه ، وشمله برعايته حتى رشحه إمامًا وواعظًا لإحدى فرق الجيش .

كان ذلك عام ١٨٢٤ .. وبعد فترة طلب محمد على باشا من الشيخ حسن العطار أن ينتخب من علماء الأزهر إمامًا للبعثة التى ستسافر إلى باريس لتلقى العلوم المختلفة ، ويرى فيه الأهلية واللياقة ، فاختار رفاعة .

ولا شك أن الحياة العسكرية التى عاشها رفاعة الطهطاوى فى الجيش قد علمته لونًا جديدًا من الحياة قوامه حب النظام ، والكفاح فى سبيل الوطن ، والصبر والتصميم .

وبدأت رحلة البعثة إلى باريس فى ٢٤ أبريل عام ١٨٢٦ ، على ظهر سفينة حربية فرنسية قطعت بها البحر المتوسط من الإسكندرية إلى مرسيليا فى ثلاثة وثلاثين يومًا ، ثم هبطت البعثة إلى أرض مرسيليا فى يوليو ١٨٢٦ ، ثم توجهت بعد ذلك إلى باريس .

وهناك اشتهر رفاعة بطموحه وجده ومثابرته ، فتحول إلى طالب علم ، وقرأ وطالع كثيرًا فى باريس وأصبح أنبغ أعضاء البعثة ، ولم يقنع بالدروس العادية ، واستعان بأساتذة خصوصيين من ماله الخاص .

وبسبب كثرة قراءاته وتحصيله ، أُصيب رفاعة فى عينه اليسرى أثناء إقامته فى باريس ، حتى احتاج إلى الطبيب الذى نصحه بعدم المطالعة والقراءة أثناء الليل .. ولكنه لم يمتثل لأوامره ، حتى لا يعوق ذلك تقدمه .

وقد سجل مشاهداته فى رحلته العلمية إلى مدينة النور ، باريس ، فى كتاب من أحسن كتبه وهو « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » ، والذى روى فيه كل ما رآه ووقعت عليه عيناه .. من ثقافة الفرنسيين ، وحضارتهم ، وعلومهم ، حتى طريقة أكلهم أيضًا .. وقد تُرجِمْ الكتاب إلى التركية .. وطُبعت النسختان - العربية والتركية - ووزعتا على موظفى الحكومة بأمر الخديوى .

قضى الطهطاوى فى باريس خمس سنوات ، انتهى فيها إلى نبوغ وتفوق وإتقان فى الترجمة التى تخصص فيها ، والتى مكنته من التعمق فى كثير من العلوم - وخاصةً - التاريخ والجغرافية .. وقد ترجم وهو فى باريس اثنى عشر كتابًا تتراوح بين الكبر والصغر ، كما قام أيضًا بترجمة دستور فرنسا وأعمال أخرى .

وفى عام ١٨٣١ عاد إلى مصر مسبوقًا بتقارير رئيس البعثة تثنى عليه وعلى كفاءته ونبوغه .. فولاه محمد على باشا منصب الترجمة فى مدرسة الطب بأبى زعبل ، وكان وقتها منصبًا كبيرًا ؛ ولكن رفاعة تولاه بكفاءة وقدرة متناهية .

وبعد عامين نُقل من مدرسة الطب إلى مدرسة الطوبجية ، واشتغل مترجمًا فيها لمدة عامين .

وفى عام ١٨٣٥ ، انتشر فى القاهرة وباء الطاعون ، فهاجر رفاعة إلى بلدته طهطا ، حيث قام بترجمة جزء من كتاب « جغرافية ملطبرون » فى ستين يومًا ، ثم عاد إلى مصر ، وقدمه إلى محمد على الذى كافأه مكافأة مالية سخية .

وفى تلك السنة أنشئت مدرسة للتاريخ والجغرافية كان رفاعة الطهطاوى هو ناظرها ومدرسها .. ثم أنشئت مدرسة « الألسن » بناء على اقتراح رفاعة الذى أشرف على إدارتها مع التدريس فيها .

كان شديد الإخلاص فى أداء واجبه ، فلم يتقيد بأوقات محددة للدراسة ، وبذل جهدًا يُذكر فى سبيل التعليم ونشره وترجمة العلوم الحديثة ونشرها ، حتى أنشأ « قلمًا للترجمة » بالمدرسة عام ١٨٤١ ، وقد بلغ عدد الكتب التى ترجمها خريجوا هذه المدرسة نحو ألفى كتاب .. ثم تحولت بعد ذلك مدرسة الألسن إلى المدرسة التجهيزية عام ١٨٤٩ .. كما كان قد وكل إليه أمر الإشراف على تنظيم صحيفة الوقائع المصرية ، فأحدث بها تغييرات جمة وخطا بها خطوات واسعة .

وفى عام ١٨٤٨ ، توفى « إبراهيم باشا » ابن محمد على ، وتولى عرش مصر عباس الأول ، الذى جنح إلى إغلاق المدارس بعد وفاة جده محمد على عام ١٨٤٩ ، وكره رفاعة الذى كان يتزعم الحركة العلمية والثقافية فى مصر ، فنفاه إلى السودان عام ١٨٥١ ! .

وفى يوليو ١٨٥٤ تولى سعيد عرش مصر فغادر رفاعة إلى وطنه ، ومارس نشاطه العلمى والثقافى ، ودعا لمشروعه العظيم الذى وضعه لنشر التعليم بين عامة أفراد الشعب ، كما أصبح وكيلاً للمدرسة الحربية .

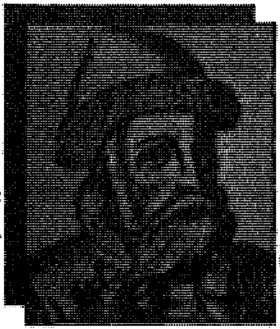
وعندما ألغيت هذه المدرسة ظل بلا عمل من عام ١٨٦١ حتى عام ١٨٦٣ ، ففى عهد إسماعيل تولى نظارة قلم الترجمة ، كما أعيد إنشاء مدرسة الإدارة والألسن عام ١٨٦٨ ، والتى أصبحت فيما بعد « مدرسة الحقوق » .

وقد أجمع المؤرخون على أن رفاعة أول واضع لدعامتين من دعائم النهضة الثقافية الحديثة وهما : الترجمة والنشر ، كما أسهم بنصيب كبير فى التأليف ، وكان أول من دعا لتعليم المرأة قبل قاسم أمين ، وظهر ذلك فى مؤلفه « المرشد الأمين للبنات والبنين » .

وضع مؤلفات تاريخية فى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم ، كما أنشأ مجلة « روضة المدارس » وأشرف على تطوير الوقائع المصرية وتحريرها ، وكذلك نظم كثير من الأشعار وخاصة فى حبه لوطنه مصر .

وقد نالت منه الشيخوخة والمرض فتوفى فى مايو عام ١٨٧٣ ، واهتزت مصر كلها لوفاته .. لقد ذهب الطهطاوى إلى باريس وعاد إلينا بالكثير والكثير .. فماذا لو كان لدينا طهطاوى آخر فى انجلترا ، وثالث فى ألمانيا ورابع فى الولايات المتحدة ؟ .

★ ★ ★



يوهان جوتنبرج

(١٣٩٧-١٤٦٨)

مخترع حروف الطباعة

هذا الرجل هو الذى ابتدع الحروف المصقولة والمنفصل بعضها عن بعض ، والتى يمكن ربطها وشدها ، فتتكون منها جميعًا كتلة واحدة ، وقد دفع باختراعه حروف الطباعة التاريخ إلى مرحلة باهرة .. ولم يكن هذا الرجل تاجرًا ناجحًا ، فهو لم يكسب شيئًا من وراء هذا الاختراع ؛ بل إنه عندما طبع الكتاب المقدس ، نسى أن يكتب اسمه على صفحاته .

ولد يوهان جنسفلايش ، الذى اتخذ لاحقًا لقب جوتنبرج ، نسبة إلى البيت الذى ولد فيه ، فى مدينة ماينس الألمانية عام ١٣٩٧ .. ولا نعرف شيئًا عن السنوات الأولى لحياته فى ماينس ، وكل ما نعرفه هنا أن والده كان ينتمى إلى الشريحة الفنية للأشراف ؛ بينما كانت والدته « إلسه فيرنج » من إحدى العائلات العادية فى المدينة .. وكانت ماينس التى ولد فيها جوتنبرج ذات عدد قليل من السكان ؛ ولكنها من أغنى وأهم المدن فى ألمانيا .

وقد انشغل جوتنبرج وفكر كثيرًا فى تصميم حروف الطباعة ، وعندما أراد تصميم فكرته استدان فى ماينس مبلغًا من المال من مواطنه الغنى « يوهان فوست » ، الذى أراد بطبيعة الحال أن يكسب الكثير من خلال استثمار أمواله فى الطباعة .

وبالفعل صمم جوتنبرج مطبعة كبيرة ، وجهز حروف الطباعة الجديدة ، وأول مشروع بدأه فى مطبعته هذه هو طبع التوراة .. وقد بدأ هذا المشروع العظيم عام ١٤٤٢ ، ولم ينته منه إلا عام ١٤٤٥م .. وقد صدرت فى مجلدين بالحجم الكبير ، وبلغ عدد صفحاته ١٢٨٠ صفحة ، وسميت توراة الاثنى والأربعين سطراً .. وقد كانت عملاً رائعًا .

وفى الواقع ، فإن جوتنبرج لم يختر بالصدفة التوراة كأول كتاب يطبعه ، فقد كان هو وشريكه العصبى « فوست » ، يهتمان بالناحية المالية لهذا المشروع المكلف ؛ ولذلك بدا لهما أن طباعة التوراة هى أضمن لهما من الناحية المالية .

وبرغم نجاح المشروع ، وإتمام عملية الطبع ، لم تكتمل فرحة جوتنبرج ، فقد رفع « فوست » دعوة قضائية فى المحكمة ضد جوتنبرج ، وحكمت المحكمة بأن يعيد إليه كل المبالغ التى استدانها منه مع فوائدها كذلك ، وكان المبلغ كبيراً وقتها .

وفقد جوتنبرج المطبعة ، وفقد أيضًا كل النسخ التى طبعها من التوراة .. إذًا لقد خسر كثيرًا ولم يكسب شيئًا لا من وراء اختراعه ، ولا من مشروعه الضخم .

وقد بدأ النزاع بين جوتنبرج وشريكه الثرى مع بداية طبع التوراة ، ثم تطور بكل حدة مع نهاية هذا العمل .

وبعد ذلك عمل جوتنبرج فى مطبعة صغيرة ، أسسها ليباشر فيها أعماله ، وكان حاكم المدينة « كونراد هرمر » هو الذى قدم المال اللازم لتأسيس هذه المطبعة ، بعد أن سلمت المطبعة الأولى إلى « فوست » .. ولكنه عجز عن سداد هذا الدين لحاكم المدينة .

وفى عام ١٤٦٢ ، اندلعت فى ماينس حرب أهلية دامية ، قامت فيها مجزرة مروعة ، وأُحرقت مئات البيوت ، وقُتل سكان المدينة دون أية رحمة .. أما من بقى على قيد الحياة منهم ، ومن بينهم جوتنبرج ، فقد نفوا إلى خارج المدينة .

وللمرة الثانية فقد أيضاً هذه المطبعة ، ولم يستردها ، وكذلك لم يستطع أن يسترد ذاته بعدها .

وقد قضى سنواته الأخيرة فى بؤس وفقر بعد أن فقد بصره .. وتوفى عام ١٤٦٨ فى ماينس على ما يبدو ، ولم يهتم به أحد .. ولولا أن أحدهم كتب عام وفاته فى أحد الكتب لما عرف أحد .. وهكذا مات هذا المخترع الكبير خاوى الوفاض ، ولو كان بيننا فى العصر الحديث لأصبح من ذوى الملايين ! .

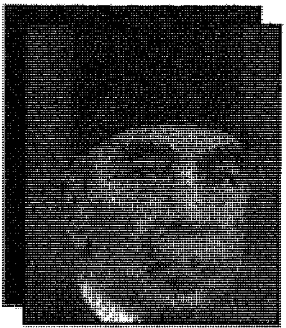
وترجع عظمة هذا الرجل إلى أنه وضع نظاماً لربط الحروف بالحبر بالطباعة ، وبمنتهى الدقة .. وبعد اختراع حروف الطباعة ، تقدمت أوروبا بصورة هائلة لم تعرفها الإنسانية فى عشرات القرون قبل ذلك .

★ ★ ★

أحمد تيمور

(١٨٧١-١٩٣٠)

علاّمة مصر



هذا الرجل كان لديه فى يوم من الأيام أكبر مكتبة خاصة فى مصر .. أعرض عن كل عمل ومنصب إلا القراءة والمعرفة .. لقد كان راهبًا فى محراب العلم .. إنه العلاّمة أحمد باشا تيمور .

ولد بالقاهرة فى ٢٢ شعبان عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١م ، ومات عنه أبوه وعمره سنة وشهران .

بدأ دروسه الأولية على يد فقيه شهير هو الشيخ « رضوان محمد » ، فى منزله بمنطقة درب سعادة ، كما تلقى مبادىء التركية والفرنسية حتى إذا توافرت له بعض المعرفة من كل ذلك – التحق بالمدارس حيث تلقى العلوم الحديثة ، وتوسع فى دراسة الفرنسية ، وكان لأخته « عائشة التيمورية » الفضل الأكبر فى توجيهه الوجهة الخالصة للمعرفة والأدب .. أعرض عن الالتحاق بالوظائف وعن إتمام دراسته ؛ ولكنه سعى إلى استكمال ثقافته بنفسه بالاطلاع والبحث والتنقيب فى أمهات الكتب وأشهرها حتى صارت لديه أكبر مكتبة خاصة فى مصر ضمت حوالى ٧١٣٤ مجلدًا بينها ٣٥٦١ كتابًا مخطوطًا ، ونظرًا لما لتلك الكتب النفيسة من ندرة وفائدة فقد ضُمت إلى دار الكتب القومية .

عاش أحمد تيمور بين كتبه ، ووهب نفسه للمعرفة ، وجعل داره فى عين شمس ملتقى أئمة الأدب فى مصر ، إذ كانت له ندوة يجتمع فيها الإمام محمد عبده ورفاعة الطهطاوى والبيلاوى وغيرهم كثيرون .. ولم تكن له هواية فى حياته سوى القراءة والاطلاع والتأليف .

فى عام ١٩٠١ جمع من نفائس الكتب فى شتى العلوم والفنون المطبوعة والمخطوطة من أوروبا ومن الشرق ، عربية وفرنسية وإنجليزية ، حتى بلغ عددها عشرين ألف مجلداً ، ويكاد يكون قد ألمَّ بها جميعاً إلمام العارف المدقق الباحث ، وكان حبه للمعرفة يجعله يعير المؤلفين والأدباء وخاصة المستشرقين الذين حجوا إليه وإلى داره فى عين شمس من روسيا وألمانيا والمجر الكثير من تلك المؤلفات .

ذاع صيت أحمد تيمور واشتهر فى ربوع الشرق والغرب على السواء أنه راعى الأدب والعربية والواهب الكثير من ماله ووقته وجهده فى سبيل المعرفة ؛ مما جعل مجلس الوزراء برئاسة السلطان فؤاد فى ٨ أكتوبر عام ١٩١٩ يمنحه رتبة الباشوية تقديراً لفضله على الأدب والمعرفة فى مصر والشرق .

فى ٢٣ فبراير عام ١٩٢٤ صدر مرسوم ملكى بتعيينه عضواً بمجلس الشيوخ ؛ ولكنه استقال منه بعد فترة قصيرة لما رأى فى ذلك ما قد يعوقه عن التفرغ الكامل للاطلاع والبحث بين أمهات الكتب التى يقتنيها .

وفى ١١ فبراير من نفس العام ، قرر مجلس الوزراء تعيينه عضواً بمجلس دار الكتب الأعلى ، وهو المجال الذى يتصل بهوايته التى سيطرت عليه ووهب لها ماله وحياته .

وقد وجه أبناءه للأدب ، فكان « محمود تيمور » الذى خلف آثارًا خالدة فى حقل الأدب برغم وفاته فى التاسعة والعشرين من عمره ، وكان « محمود تيمور » أستاذ القصة المصرية والأديب الفحل المتميز بالعمق والبحث والإفاضة ، أو كما وصفه « طه حسين » عميد الأدب بأن « محمود تيمور أديب عالمى » .. وكان لوالدهما المرحوم أحمد تيمور الفضل كل الفضل فى توجيههما هذه الوجهة التى جعلت منهما إمامين فى محراب الأدب .

كان علم أحمد تيمور وأبحاثه وخزانته العالمية وسيلة لإرشاد الناس ، ألم بالكتب التى اقتناها إلمام المحقق المدقق ، فحرص أشد الحرص على جلاء كل غامض فى المخطوطات والمؤلفات التى حوتها خزانته ، ولم يجد رواية مخالفة إلا نص عليها ، كما فهرس لمكتبته بأسلوب رائع منسق يدل على العناية والدراية والإلمام .

كان أحمد تيمور من طلاب الكمال ، أمينًا على العلم والمعرفة ، لم يخرج رأيًا قبل وثوقه به وبنضجه ، ولم ينشر كتابًا من تأليفه إلا إذا استوفى جميع نواحيه ، وإن ظل الكثير من مؤلفاته مخطوطًا فإنه طَبع منها الكتب الآتية التى تولت طبعها « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » : « تصحيح لسان العرب » ، « تصحيح القاموس المحيط » ، « نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها » ، « رسالة فى الرتب والألقاب » ، « أبو العلاء المعرى » ، « أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » ، « تاريخ العلم العثمانى » ، « قبر الإمام السيوطى وتحقيق موضعه » ، « الأمثال العامية » ، « أوهام شعراء العرب » ، « نوادر المسائل » .. وغيرها كثير مما لم ينشر بعد .

وفى عام ١٩٣٠ توفى أحمد تيمور الذى حاز قصب السبق بجدارة وبحق فى علوم اللغة العربية والتاريخ الإسلامى ، وفى علوم الفنون والآثار الإسلامية ، وفى حفظ تراث الإسلام من الضياع حفظ العالم المؤمن .. ومن أعظم آثاره الكشف عن موضع قبر الإمام السيوطى وتعيينه .. وقد قال عنه أحد المستشرقين ، الذى زاره واستفاد من علمه وكتبه : « لقد اختفت شخصية علمية جليلة لن يرى الشرق العربى مثلها قبل زمن طويل ! » .

★ ★ ★



هيلين كيلر

(١٨٨٠ ـ ١٩٦٨)

معجزة القرن العشرين

« إن أعظم شخصيتين فى القرن التاسع عشر هما : نابليون بونابرت وهيلين كيلر .. » .. هذا ما قاله الأديب الأمريكى الكبير مارك توين عن تلك المرأة .. هيلين كيلر إحدى معجزات البشرية

ولدت فى ٢٧ يونيه عام ١٨٨٠ ، فى ريف ايفين جرين Even Green بولاية ألاباما الأمريكية .. وكانت طفلة طبيعية ترى وتسمع ، وتنطق ببضع كلمات كتلك التى تجىء على شفاه الأطفال فى هذه السن المبكرة .. إلى أن جاء يوم أصيبت فيه الطفلة الصغيرة وهى لم تكمل بعد الشهر التاسع من عمرها بحمى فى المخ ، أفقدتها حاستى السمع والبصر ، وبالتالى القدرة على الكلام .

وبقيت هيلين الصغيرة صماء ، بكماء ، عمياء .. إلى أن بلغت السابعة من عمرها .. وأشار جراهام بل مخترع التليفون على والدها الذى كان صديقًا له ، بأن يترك أمرها لمربية تعتنى بها .

وبالفعل أحضر لها والدها معلمة من معهد بيركنز للعميان بمدينة بوسطن بولاية ماساشوستس ، وكانت تلك المعلمة هى « آن سوليفان » التى كانت فتاة ضريرة فى العشرين من عمرها ، وأبصرت من بعد ظلام على أثر سلسلة من العمليات الجراحية التى أجراها لها الأطباء .

ولعل هذا هو سبب العطف الشديد الذى كانت تشعر به المعلمة تجاه تلميذتها الصغيرة العمياء .. فقد عرفت آن سوليفان حياة الظلام قبل أن تستعيد نعمة البصر ، فبقيت بجانب هيلين الصغيرة .. فكانت هى عينيها وأذنيها ولسانها حتى توفيت عام ١٩٣٦ ، وواجهت بعدها هيلين الحياة ولكن مع معاونة أخرى لها .

وقد سألوا آن سوليفان ذات مرة : « كيف بدأت هيلين تتعلم ؟ » .. فقالت : « كانت تقف معى فى أحد الأيام بجوار مضخة المياة عند باب المنزل الخارجى ، عندما كان أحد المارة يستخرج الماء ويملأ السطل الذى يحمله ، وأمسكتُ يد هيلين ووضعتها تحت الماء المتدفق .. وبينما الماء البارد يتساقط فيبلل يدها ، تهجيتُ على يديها الأخرى حروف كلمة « ماء Water » .. ونظرت إلى عينيها فوجدتهما تلمعان ببريق عجيب .. لقد نفذت الإشارات الجديدة إلى أعماقها .

وفجأة انحنت هيلين الصغيرة ولمست الأرض بأصابع يدها وعرفت اسم « الأرض Earth » بنفس الطريقة .. وعندما أقبل المساء كانت قد تعلمت مائة كلمة ! .. » .

وهكذا راحت الطفلة المعجزة ترتقى سلم العلم درجة من بعد درجة ، بمساعدة تلك المعلمة الذكية الرحيمة .. ثم تعلمت كيف تقرأ بطريقة « بريل » للمكفوفين ، وتكتب على الآلة الكاتبة التى صممت خصيصًا للذين فقدوا نعمة البصر .

وبهذه الآلة كتبت رسالتها وحصلت على الدكتوراة فى القانون من جامعة جلاسجو باسكتلنده .

ولكن حياتها بعد التخرج لم تكن سهلة وإنما كانت كفاحًا متواصلاً من أجل لقمة العيش .. فقامت بعدة رحلات إلى مختلف أنحاء العالم ، زارت خلالها المعاهد والمؤسسات التى شُيدت لأمثالها من الأطفال الذين حرموا من نعمة السمع والبصر .

وكانت تحدثهم بلسان معلمتها وسكرتيرتها ، وتحكى لهم جانبًا من تجاربها الخاصة فى الحياة .

وقد تفرغت فى أخريات حياتها للتأليف ، فوضعت عددًا كبيرًا من الكتب والمؤلفات .. كما ظهرت فى فيلم يروى قصة حياتها .

ومن أشهر مؤلفاتها : « قصة حياتى » و« العالم الذى أعيش فيه » و« أغنية الجدار الحجرى » و« الخروج من الظلام » و« تفاؤل » و« إيمانى » و« الحب والسلام » و« فلنؤمن » و« وهيلين كيلر فى اسكتلنده » .

وقد زارت مصر فى عام ١٩٥٢ ، والتقت بالدكتور طه حسين ، وزير المعارف وقتها .. كما استقبلها دوايت أيزنهاور ، رئيس الولايات المتحدة ، ليهنئها على اختيارها واحدة من أهم ٢٥ شخصية من معاصريها من الأمريكيين فى نفس العام .

سألوها يومًا : « إذا أبصرتِ .. ما هو أول شىء تريدين رؤيته ؟ » .. فقالت : « أن أرى الناس الذين ساعدونى وشجعونى برحمتهم وصداقتهم » .

وقد توفيت هذه المرأة المعجزة فى يونيه عام ١٩٦٨ .

ومن أقوالها : « يا أصحاب العيون .. تملوا من الدنيا جيدًا .. وكأنها ستستغرق فى ظلام دامس بعد ساعات .. أو كأنكم ستفقدون النظر غدًا » .

★ ★ ★



جراهـام بـل

(١٨٤٧-١٩٢٢)

مخترع التليفون

ولد ألكسندر جـراهـام بل فى أدنبـره باسكتلندا فى الثـالث من مـارس عـام ١٨٤٧ ، وكان أحد ثلاثة أخوة أنجبهم الأب المدعو ألكسندر ملفيل بل .

وتخـرج ألكسندر الابن من الثـانويـة الملكيـة وهـو فى الرابعـة عـشـرة من عمـره ، فى أدنبره ، ثم واصل حضور بعض المحاضرات فى جامعتها .. إلا أنه مدين إلى أهله وذويه .. فقد اشتهرت العائلة بخبرتها الطويلة وكفاءتها الفريدة فى تقـويـم النطـق وتحـسين القـدرة على الخطابة .. وشـمل اهـتـمـامـهـا الصم بصفـة خاصة .

وعـمـل ألكسـندر جـراهام بل فى التـعليم فى بلدة « إلجن » ، وعكف على دراسة الصوت فى تلك الفترة فجمع بين الدراسة والتدريس ، وظل العالم المعلم فى آنٍ معًا طوال حياته .. وفجـأة مـات أحد أخـوى ألكسندر بمرض السل .. ومـا لبث الأخ الآخـر أن لحق بالأول .. وخـشى الأبوان على ألكسندر من نفس المصيـر ، وقد اعتلت صحتـه كثيـرًا فقـرروا الهجـرة إلى الولايات المتحدة عـام ١٨٧٠ ، واستقروا فترة قرب مدينة برانفورد فى أونتاريو بكندا ، وهناك تحسنت صحة الولد بأسرع مما توقعوا .

وحاضر ألكسندر جراهام بل فى بوسطن عام ١٨٧١ ، وكان محور محاضراته الطريقة الفذة التى ابتكرها أبوه لتعليم الصم ، وأصاب فى محاضراته تلك من النجاح ما جعل الجامعات والمدن الأمريكية الأخرى تُقبل على دعوته لإلقاء المحاضرات فى الموضوع نفسه .. موضوع تعليم الصُّم .

وأقدم ألكسندر على افتتاح مدرسته الخاصة بتدريب مُدرسى الصم وذلك فى بوسطن عام ١٨٧٢ ، وفى السنة التالية ١٨٧٣ ، عُين أستاذًا « بروفسور » فى جامعة بوسطن فى فسيولوجيا الصوت .

واكتشف البروفسور شابًا يُدعَى توماس واطسون .. وكان تقنيًا يعمل فى تصليح الآلات والماكينات ، وينعم بالصفات والميول العلمية التى فقدها ألكسندر .

وسعد واطسون بأن يكون مساعدًا للبروفسور ألكسندر ..

وتجدر الإشارة إلى أن ألكسندر جراهام كان يسعى منذ زمن إلى ابتكار جهاز يسهل على المرء مخاطبة الصم .. واكتشف بالصدفة أن الاهتزازات التى يحدثها الصوت الإنسانى فى طبلة حديدية تكون بالقرب من مغناطيس ملفوف بسلك موصل للكهرباء ، من شأن تلك الاهتزازات أن تحدث تيارًا ضعيفًا يمكن نقله بواسطة الكابلات ليصل إلى طبلة أخرى ، فيحدث هذا التيار فى تلك الطبلة الثانية مثل الاهتزازات الأولى التى أحدثها الصوت الإنسانى فى الطبلة الأولى .

عندئذ انصرف ألكسندر عن جهاز الصم وصب اهتمامه هو ومساعده واطسون على جهاز التليفون .

وهكذا واصل ألكسندر وواطسون جلساتهما الطويلة ليلة بعد ليلة ، وتمكنا من تطوير جهاز التليفون الذى نعرفه ، وتسنى لهما تسجيله لدى دائرة الاختراعات والبراءات فى عام ١٨٧٦ .

ومن الغريب حقًا أن نجد رجلاً آخر اسمه « اليشع جراى » قد سجل نفس الاختراع فى نفس اليوم .. ولكن بعد ذلك بساعة ! .

وبعد أن حصل جراهام على براءة الاختراع ، عرضه فى معرض دولى بفيلادلفيا ، وقد أثار اهتماماً هائلاً ، واستحق لذلك جائزة كبرى .. ثم كوَّن بِل ومساعده شركة لإنتاج التليفون .. وبعد ذلك أقبل الناس على هذا الاختراع الذى نجح تماماً .

ولم يدْرِ جراهام بل وزوجته اللذان يملكان ١٥٪ من أسهم هذه الشركة أن أرباحهما سوف تكون طائلة .. وبمنتهى الجهل باعا نصيبهما من هذه الشركة مقابل ٢٥٠ دولاراً للسهم الواحد .. وارتفعت الأسهم مرة أخرى فباع الرجل وزوجته ما تبقى لديهما من هذه الأسهم .. ولو انتظرا سنة واحدة لباعا نصيبهما بمليون دولار ! .

وعلى الرغم من أن التليفون قد جعله رجلاً غنيًا جدًا ، فإنه لم يتوقف عن البحث والدراسة ، ونجح فى اختراع أجهزة مفيدة ، وإن كانت أقل أهمية من التليفون .

وكانت اهتماماته كثيرة جداً .. ولكن شيئًا واحداً شغله معظم الوقت وهو كيف يساعد الأصم على أن يسمع .. فقد كانت زوجته صماء ، وحاول طوال عمره أن يساعدها على أن تسمع .

وقد أنجبت له ولدين ولكنهما ماتا طفلين .. وأنجبت له أيضًا ابنتين .

وفى عام ١٨٨٢ اكتسب الجنسية الأمريكية .

وتوفى عام ١٩٢٢ .

★ ★ ★



أحمد شوقى

(١٨٦٨-١٩٣٢)

أمير الشعراء

ولد أحمد على أحمد شوقى فى حى الحنفى بالقاهرة عام ١٨٦٨ ، وكان جده « أحمد شوقى » من الأكراد ، وجاء إلى مصر شاباً بتوصية أحد الولاة الأتراك إلى محمد على باشا الذى ألحقه بقصره .

بدد والده « على شوقى » ثروته ، فكفلته جدته لأمه ، وادخلته مدرسة الشيخ صالح الابتدائية وهو فى الخامسة من عمره ، ثم أكمل دراسته الثانوية فى المدرسة الخديوية بالقاهرة .

وفى عام ١٨٨٣ التحق بمدرسة الحقوق بالرغم من معارضة ناظرها لصغر سنه ، وذلك بوساطة القصر الذى تعمل فيه وصيفة .. وقضى بمدرسة الحقوق عامين ، ثم أُلحق بقسم الترجمة وتخرج فيه عام ١٨٨٧ ، أى بعد عامين .

أحب الشعر حباً جماً ، وحفظ أشعار العرب ، وتتلمذ على يد الشيخ « محمد البسيونى » شاعر الخديوى .

بعد تخرجه وحصوله على الشهادة الأخيرة ، عينه الخديوى توفيق فى وظيفة فى الخاصة الخديوية ، ثم بعثه إلى فرنسا لدراسة الأدب الفرنسى والحقوق على نفقته الخاصة ، وبعد أن أتم دراسته فى مونبلييه وفى باريس عاد إلى مصر عام ١٨٩١ .

مات الخديوى توفيق وجلس على عرش مصر ابنه عباس حلمى الثانى الذى قرب أحمد شوقى إليه ، وجعله يسكن فى حى المطرية بالقرب من قصر القبة .

وفى تلك الدار الكبيرة الرائعة وحديقتها الغنّاء الفاخرة ، جادت قريحة شوقى بأروع أشعاره الخالدة مثل نهج البردة وغيرها .

وكانت داره الجميلة ملتقى الشعراء والأدباء مثل : خليل مطران ، وحافظ إبراهيم ، وإسماعيل صبرى ، وداود بركات .. وغيرهم .. وكانت بحق مدرسة الشعر والأدب فى مصر .

وكان شوقى يصحب الخديوى عباس الثانى فى رحلته السنوية إلى تركيا ، فاقتنى هناك على ضفاف البوسفور داراً جميلة ، رائعة التنسيق ، أوحت إليه كذلك بفيض من الشعر الجزل القوى مع ما كانت توحى به من قصائد المديح لسلطان تركيا « عبد الحميد » الذى منحه رتبة « بك » مع لقب « صاحب السعادة » .

واتجه بشعره الذى أجمع العالم العربى كله على قوته إلى مؤازرة الحركة الوطنية أيام مصطفى كامل الذى كان صديقًا وفيًا له .. وأخذ يندد بالاستعمار وبالإنجليز فى قصائده الوطنية .. وسجل حادث « دنشواى » فى قصيدة عصماء اهتزت لها جنبات العالم العربى .

وقد حفظ له المستعمرون ذلك وأضمروا به شراً ، حتى إذا شبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، وفرضت الحماية البريطانية على مصر وكذلك أعلنت الأحكام العرفية ، نفوه إلى خارج البلاد مع أسرته عام ١٩١٥ ، واختاروا له « برشلونة » على شاطىء أسبانيا حيث قضى بها خمسة أعوام مبعداً طاف خلالها بجميع بلاد الأندلس .

وفى هذه الفترة قدم للعربية أروع الأشعار التى سجل فيها خلجات نفسه ، وحنينه إلى وطنه ، وأمجاد العرب وآثارهم فى الأندلس التى حكموها ثمانية قرون .

ولما عاد شوقى من منفاه ، استُقبل استقبالاً عظيمًا ، ونظم القصائد يشكر فيها بلاد الأندلس التى آوته وأسرته ، ويناجى وطنه وأهله الذين رحبوا به وهتفوا له .

وقد انتقل بداره التى أسماها « كرمة بن هانىء » من المطرية إلى ضفاف النيل ، وجعلها كذلك كعبة الشعر الرصين المتميز بالصقل وقوة التأثير ، وفيها قدم للعربية فيضًا عظيمًا من الشعر الذى سجل به آثار مصر وأهرامها ونيلها الخالد وغيرها من القصائد الدينية فى مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم .

وبمناسبة إعادة طبع ديوان شعره فى أسبوع الشعر والأدب بالقاهرة من ٢٩ أبريل إلى ٦ مايو ١٩٢٧ اجتمع الشعراء والأدباء من جميع البلاد العربية واحتفوا بتنصيبه « أميرًا للشعراء » عن حق وجدارة واستحقاق .. وقد أنشد الشعراء قصائدهم التى تشيد بشوقى وشعره ، وقال حافظ إبراهيم فى قصيدته :

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعًا وهذى وفودُ الشرقِ قد بايعتْ معى

وكانت تلك المبايعة والاحتفال العظيم بدار الأوبرا المصرية .

وتوفى أحمد شوقى فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ ، بعد أن خلّف للعربية ثروة شعرية مجيدة ، أذهلت العرب وبلاد الشرق ، وقد بلغت بعض قصائده مائة بيت أو أكثر ، وخاض بهذا الشعر الرائع كل مجالات الحياة .. من وطنى متدفق بالحماس ومحاربة الاستعمار إلى دينى متعمق مفعم بالتقوى والإيمان ، إلى مدح الرسول والخلفاء ، ثم غزل ومدح الحاكمين ، ثم تسجيل آثار مصر ونيلها

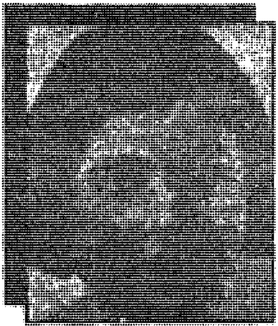
الخالد ، وبلاد العالم وتركيا والأندلس ، وغير ذلك مما تعجز القدرة البشرية عن إيفائه حق قدره .

وبجانب الشعر .. كان شوقى رائداً للمسرح الشعرى العربى .. حيث قدم له عدة مسرحيات هى : مصرع كليوباترا ، مجنون ليلى ، عنترة ، على بك الكبير ، قمبير .

وله كتاب نثرى بعنوان « أسواق الذهب » .

وقد تزوج وأنجب ولدين وابنة .

★ ★ ★



مى زيــادة

(١٨٨٦-١٩٤١)

الأديبة البائسة

هى الأديبـة العربيـة الألمعية مارى إليـاس زيـادة ، ولدت عـام ١٨٨٦ .. كان والـدها لبنانيًا ، أما أمهـا « نزهـة مهر » فكانت فلسطينيـة مـن مدينـة « الناصرة » .. وكانت مارى هى ابنتها الوحيدة ، وقد تعلمت فى إحدى مدارس الراهبات فى لبنان .. ومنذ صباها الأول تميزت بميولها الأدبية ، وحبها الشديد للمطالعة .. فكانت تقرأ وتطالع بنهم شديد .

وقد هاجر والدها إلياس زيادة إلى مصر وأنشأ بها جريدة « المحروسة » فنشـرت فيـها مـقـالات عـدة ، وقـعتـها باسم « مى » وهو اختـصارًا لاسمـها الأصلى ، فاشتهرت وعرفت بهذا الاسم .. ثم التحقت بقسم الآداب فى الجامعة المصرية القديمة حيث درست تاريخ الدول الإسلامية ، والفلسفة وتاريخ الأدب العـربى .. ثم تعلمت اللغـات الإيطاليـة والأسـبـانيـة والألمانيـة والفـرنسـيـة والإنجليزية .. وكانت تتقن هذه اللغات جميعًا ، وتقرأ بها آثار الأدب والثقافة .

وقـد دخلت مى إلى عـالم الكتـابة والأدب من خـلال جـريدة والدها تلك ، وبفضل مساندته لها وتشجيعه الدائم ، وصلاتها بأدباء وشعراء ومثقفى عصرها سواء فى مصر أو غيرها من البلاد العربية .. وقد وفدت مع والديها إلى مصر عام ١٩٠٨ ، ولم يجاوز عمرها الثانية والعشرين وقتها .

وفى عام ١٩٣٠ صدمت صدمة كبيرة بوفاة والدها .. ثم لحقته والدتها بعد ثلاثة أعوام .. فاكتملت مصيبتها ، وأثر ذلك عليها كثيرًا ، فأصيبت بالإحباط والاكتئاب .. وكتبت إلى ابن عم لها فى لبنان تشكو إليه حالها .. فحضر إلى القاهرة ، وحصل منها على توكيل عام يتيح له التصرف من خلاله فى أموالها ، ثم سافرت معه إلى لبنان .. وهناك اكتملت المأساة .. فقد اتهمها ابن عمها هذا بالجنون ، واستطاع أن يدخلها أحد مستشفيات الأمراض العقلية هناك ! .

مكثت فى المستشفى عامًا ونصف العام ، ضعفت فيه جسميًا ، ورفضت الطعام ، وفقدت الثقة فى نفسها ، حتى أصبحت شبحًا .

ووقف إلى جانبها بعض أصدقائها ، وبعض الأدباء ، واستطاعوا أن ينفوا عنها تهمة الجنون هذه .. فتركت مستشفى الأمراض العقلية بعد تلك المدة الطويلة .. ولكنها لضعف صحتها ، دخلت مستشفى آخر ، مكثت فيه عامًا آخر ، لم يكن يختلف عن سابقه .

ثم تركت المستشفى وأقامت فى مسكن خاص بها بمساعدة بعض المخلصين وعلى رأسهم الأديب العربى الكبير « أمين الريحانى » وأسرته .

لكنها لم تستطع العودة إلى حالتها السابقة ، وبقيت فى عزلة وانطواء ، وتدهورت صحتها أكثر وأكثر حتى توفيت فى ٢٩ أكتوبر ١٩٤١ .

لم تتزوج الآنسة مى .. وكان لها صالون أدبى تقيمه بمنزلها يوم الثلاثاء من كل أسبوع من عام ١٩١٤ ، ولمدة عشرين عامًا بانتظام حتى وفاة والدها ..

وكان يجتمع فى هذا الصالون صفوة الأدباء والشعراء والكتاب والمثقفين أمثال : العقاد ، وطه حسين ، ولطفى السيد ، وأحمد شوقى ، وخليل مطران ، والمازنى ، ويعقوب صروف ، وداود بركات ، وسليمان البستانى ، وشبلى شميل ، وأنطوان الجميل ، ومصطفى عبد الرازق ، ومصطفى صادق الرافعى ..

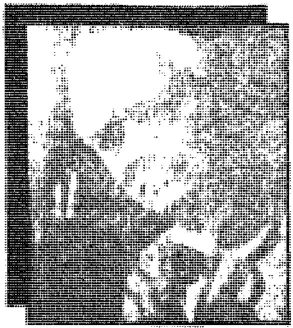
وغيرهم .. وكانوا جميعًا معجبين بثقافة وأدب ومعرفة هذه الفتاة النابغة التى كانت تدير الصالون بلباقة شديدة .. وبجانب ثقافتها الواسعة ، كانت متدينة إلى حد كبير ، ومحافظة ، وصاحبة شخصية اجتماعية لافتة للنظر .. وكانت تحضر الندوات والمؤتمرات الثقافية ، وتلقى المحاضرات على جمهور المثقفين مما لم يكن مألوفًا على الاطلاق بالنسبة للمرأة العربية فى ذلك الوقت .

وكانت تدعو إلى تعليم الفتاة العربية ، وإتاحة الفرصة لها لكى تخوض الحياة العلمية جنبًا إلى جنب مع الرجال .. وقد أرخت للنهضة النسوية فى مصر بما كتبته عن عائشة التيمورية ووردة اليازجى وملك حفنى ناصف .

وكانت على اتصال بأقطاب الأدب فى البلاد العربية والمهجر .. وكانت تدافع عن اللغة العربية بحماس .

ومن مؤلفاتها : « المساواة » ، « سوانح فتاة » ، « باحثة البادية » ، « ابتسامات ودموع » ، « رجوع الموجة » ، « الصحائف » ، « كلمات وإشارات » ، « بين المد والجزر » ، « ظلمات وأشعة » .

★ ★ ★



ألكسندر فلمنج

(١٨٨١ـ ١٩٥٥)

مكتشف البنسلين

ظهر التداوى بالمركبات الكيماوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ثم أخذ يحل محل التداوى بالأعشاب فى مطلع القرن العشرين .. وقد أمكن القضاء بذلك على أمراض عديدة عجزت عن معالجتها الأعشاب .. غير أن التداوى بالكيماويات لم يدخل عنصره الذهبى إلا باكتشاف البنسلين على يد السير ألكسندر فلمنج .. عالم الجراثيم الاسكتلندى المعروف .

وكان البنسلين هو « أول » مضاد حيوى يكتشف فى تلك السلسلة الطويلة من المضادات الحيوية التى جاءت بعده ، والتى لا غنى عنها اليوم فى عالم الطب والأمراض .

ولد ألكسندر فى بلدة لوخفيلد عام ١٨٨١ ، وتخرج من كلية الطب التابعة لمستشفى سان مارى فى لندن ، ثم التحق بجامعة لندن ، ومضى فى أبحاثه ودراساته للمواد الكفيلة بقتل البكتريا ومعالجة الأمراض الناشئة عنها ، دون الإضرار بجسم الإنسان .

وواصل فلمنج أبحاثه بعد التحاقه بفرقة الجيش الملكية الطبية ، وكان ذلك أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكان مهتماً بالجروح والعدوى ، إذ كان وقتها منشغلاً بدراسات عن التعقيم .

ثم عاد إلى كلية سان مارى ، ثم شغل منصب البروفسور المحاضر فى كلية الجراحين الملكية فى لندن ، وكان ذلك عام ١٩٢٨ وهو نفس العام الذى اكتشف فيه البنسلين .

وتجدر الإشارة إلى أن البنسلين لم يكن أصلاً من المركبات الكيماوية ، بل كان مادة عضوية ، أو بكتريا على وجه التحديد ، فهو إذن بكتريا تقتل بكتريا أخرى وتقضى على الأمراض الناجمة عنها .

ثم جاء ألكسندر فلمنج عام ١٩٢٨ ، وراح يركز تجاربه على بكتريا Staphilococci ، فلفت نظره ذات يوم وجود تلك البكتريا فى مواضع من أطباق المختبر وعدم وجودها فى مواضع أخرى من تلك الأطباق .. ولاحظ العالم أن المواضع الخالية كانت تعج بأشياء أخرى غير البكتريا .. ثم اكتشف أن هذه الأشياء ما هى إلا نوع من الفطريات تنتمى إلى سلالة بنيسيليوم (Penicillum) ويعنى اسمها اللاتينى هذا « فرشاة الدهان » ، وقد أطلقوه على تلك السلالة لأن شكلها يشبه الفرشاة .

إذن لقد اكتشف ألكسندر أن هذا الفطر يقضى على البكتريا بتلك المادة التى يفرزها حولها .. ومن ثم أطلق على هذه المادة اسم « البنسلين » نسبةً إلى سلالة الفطر نفسه .

ونُشرت نتائج أبحاث فلمنج عام ١٩٢٩ ، ولم تلفت النظر أول الأمر .. وأعلن فلمنج أن هذا الاكتشاف من الممكن أن تكون له فوائد طبية خطيرة .. ولم يستطع أن يبتكر طريقة لاستخلاص هذه المادة أو تنقيتها .

وهكذا ظل هذا العقار السحرى عشر سنوات دون أن يستفيد منه أحد .

وأخيراً وفى عام ١٩٤٠ نجح عالمان آخران حيث فشل فلمنج .. وهما : هوارد فلورى النمساوى ، وارنست تشين الألمانى .. فقد قرأ الاثنان ما كتبه

فلمنج عن اكتشافه الخطير ، وأعادا نفس التجارب ، وجربا هذه المادة على حيوانات المعمل .. واستطاعا أن يثبتا فاعلية البنسلين .. ثم استخدما البنسلين فى علاج المرضى عام ١٩٤١ ، وأثبتت تجاربهما أن هذا العقار الجديد فى غاية الأهمية .

وبمساعدة الحكومتين الأمريكية والبريطانية تسابقت الشركات الطبية فى استخلاص مادة البنسلين بكميات ضخمة .. وتوصلت هذه الشركات إلى طرق أسهل لاستخلاص هذه المادة السحرية وإنتاج كميات هائلة وطرحها فى الأسواق .

واستُخدم البنسلين أول الأمر لعلاج جرحى الحرب .. وفى سنة ١٩٤٤ أصبح فى متناول الجميع .

وبفضل هذا العقار المعجزة ، استحق العالمان اللذين نجحا فى استخلاصه ، فلورى وتشين ، مشاركة السير ألكسندر فلمنج فى جائزة نوبل فى الطب ، والتى ظفر بها الثلاثة عام ١٩٤٥ .

وترجع أهمية البنسلين الطبية حتى الآن إلى أنه يفيد فى عدد كبير ومتنوع من الأغراض الطبية .. فيستخدم فى علاج الزهرى والسيلان والحمى القرمزية والدفتيريا والتهاب المفاصل والالتهاب الرئوى وتسمم الدم وأمراض العظام والسل والغرغرينة .. وغيرها .. كما أن اكتشافه قد مهد الطريق إلى اكتشاف واستخدام الكثير من المضادات الحيوية والعقاقير السحرية الأخرى .

وتزوج فلمنج ، وكان سعيداً فى حياته ، وكان له ابن وحيد .

وتوفى عام ١٩٥٥ .

★ ★ ★

أحمد زكى

(١٨٩٤-١٩٧٥)

صاحب « العربي »



قد لا يعرفه الكثيرون ، وقد يتذكره البعض .. ولكن الذين يتابعون مجلة العربى يعرفونه حق المعرفة .. إنه الأستاذ الدكتور أحمد زكى العالم والأديب والوزير وأحد رؤساء جامعة القاهرة السابقين .

ولد بالسويس عام ١٨٩٤ ، وانتقلت الأسرة إلى القاهرة نحو عام ١٩٠٠ ، وتعلم هو بمدرسة عباس الأول الابتدائية ، فمدرسة التوفيقية ، ثم مدرسة المعلمين العليا ، وتخرج فى القسم العلمى منها مدرساً عام ١٩١٤ .

اشتغل بالتدريس من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨ بالمدارس الثانوية ، وفى السنتين الأخيرتين من هذه السنوات الأربع كان ناظراً لمدرسة وادى النيل الثانوية بالقاهرة .

استقال وثورة سعد زغلول قائمة ، وذهب إلى انجلترا للدراسة ، وقضى فيها عشر سنوات متصلة ، ونال درجة البكالوريوس العلمية .B.SC ودرجة الدكتوراه الفلسفية .Ph. D ، من جامعة ليفربول ، وانتقل يكمل بحوثه العلمية إلى جامعة مانشيستر ثم إلى جامعة لندن ، ونال من جامعة لندن الدكتوراة العلمية .D. SC عام ١٩٢٨ ، وهى أعلى ما تعطيه الجامعات من درجات ، وفى أثناء ذلك عمل مع الأستاذ بريجل Prigl فى جامعة جراتس بالنمسا .. عاد إلى مصر

فشغل وظيفة أستاذ الكيمياء المساعد بكلية العلوم بجامعة القاهرة (جامعة فؤاد الأول عند ذاك) ، ثم وظيفة أستاذ الكيمياء ، وانتُخِبَ وكيلاً للكلية ، وعمل وكيلاً وأستاذًا لمدة ٣ سنوات ، ثم انتخب بالإجماع عميدًا لها .. وتدخلت السياسة عند ذلك بمثل ما تدخلت فى أمر عمادة صديقه الدكتور عبد الرزاق السنهورى بكلية الحقوق ، فكان لابد أن ينتقل ليكون مديرًا لمصلحة الكيمياء المصرية ، وذلك عام ١٩٣٦ .

وفى عام ١٩٤٥ ، اختير مديرًا لمؤسسة البحوث العلمية المصرية الجديدة التى سُميت باسم مجلس فؤاد الأول للبحوث العلمية ، بمرتبة وكيل وزارة ، وفى هذه الأثناء قام ببناء المختبرات الشهيرة بحى الدقى بالقاهرة ، تلك التى يُطلق عليها اليوم (المركز القومى للبحوث العلمية) ، وهى مفخرة من مفاخر مصر .

وبعد ستة أعوام فى مجلس البحوث ، اختير ليكون وزيرًا ، ومن الطريف أنه عُهد إليه بوزارة الشئون الاجتماعية .

عاد الدكتور أحمد زكى إلى مجلس البحوث بعد سقوط الوزارة ، ثم غامت السماء واغبرت الحوادث ، فلم يجد بدًا من الاستقالة .

بعد الاستقالة بأيام عينته حكومة الثورة فى عام ١٩٥٣ مديرًا لجامعة القاهرة .

وبعد التقاعد زاره فى بيته بالمعادى فى القاهرة رجل كريم من رجالات الكويت يعرض عليه العمل فى الكويت فى سبيل إنشاء مجلة تكون هدية الكويت للعالم العربى كله ، فكانت مجلة « العربى » والدكتور أحمد زكى هو الذى اختار لها هذا الاسم ، وكان ذلك عام ١٩٥٨ ، وكان عمره وقتها ٦٤ عامًا .

نُشرت أعماله العلمية فى المجلات ذات الاختصاص الأوروبية .. وكان قد مارس الكتابة منذ تخرجه من مدرسة المعلمين عام ١٩١٤ ، وأنشأ مع آخرين

« لجنة التأليف والترجمة والنشر » عند ذلك .. وقد عاد يمارس الكتابة بعد رجوعه من أوروبا ، فكان منها : « قصة المكروب » و « جان دارك » و « مرجريت أو غادة الكاميليا » (مع المرحوم أحمد حسن الزيات) ، و « بواتق وأنابيب » و « سلطة علمية » و « بين المسموع والمقروء » .. وله أيضًا كتاب « مع الله فى السماء » ، و « مع الله فى الأرض » و « فى سبيل موسوعة علمية » .

وقد عاش الدكتور أحمد زكى حياة مركزة مليئة بجهود متنوعة شتى ، فمن أعمال جامعية ، إلى أعمال علمية ، إلى كتابة فى المجلات ، إلى إذاعات طالت سنوات .. وقام كذلك برئاسة تحرير « الهلال » من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٠ ، ورأس الجمعية الكيماوية المصرية ربع قرن ، وكان عضوًا قديمًا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وفى غيره من المجامع .

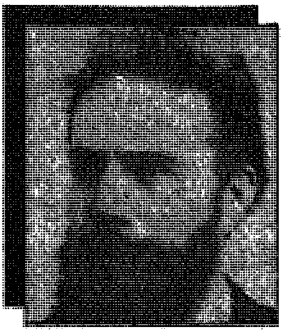
وكان - رحمه الله - قوى البنية ، مشحوذ الرأى ، يجد الراحة أطيب الراحة بين الفئة القليلة من الأصدقاء ، والفئة الكثيرة من الكتب .

وإذا كانت للدكتور أحمد زكى أعمالاً عظيمة وجليلة ، فإن أعظمها على الاطلاق هو تأسيسه لمجلة « العربى » الكويتية ، التى هى بمثابة شمس تسطع فى سماء الثقافة العربية .. وهى مجلة شهرية صدر العدد الأول منها فى ديسمبر عام ١٩٥٨ ، وظل هو رئيس تحريرها حتى العدد ٢٠٥ فى ديسمبر ١٩٧٥ .

لقد أمتع القراء العرب بافتتاحياته الرائعة فى صدر المجلة ، وبالمقالات العلمية التى كان يصيغها بأسلوب يجمع بين العلم والأدب ، ويتسم بالبساطة والبعد عن التعقيد .

وقد قال عنه الدكتور أحمد أمين : إنه قد « أدَّب العلم » .

★ ★ ★



ولهلم رونتجن

(١٨٤٥-١٩٢٣)

مكتشف الأشعة السينية

إنه أول فائز بجائزة نوبل فى الفيزياء .. وهو الذى اكتشف أشعة إكس كما يسمونها ، أو الأشعة السينية ، أو أشعة رونتجن نسبة إلى مكتشفها : ولهلم كونراد رونتجن .. ولو ذكرنا الدور الخطير الذى لعبته هذه الأشعة فى مجال الطب والفيزياء فى القرن العشرين ، لأيقنا أن مكتشفها يحتل مكانة طليعية بين بناة حضارة هذا القرن الذى نعيش فيه .

ولد ولهلم فى ٢٧ مارس ١٨٤٥ ، فى بلدة لينيب فى ألمانيا ، وتوفى فى ١٠ فبراير ١٩٢٣ .. فى مدينة ميونخ المعروفة .

وقد حصل على دكتوراه الفلسفة عام ١٨٦٩ من جامعة زيورخ بسويسرا .. وفى الـ ١٩ عاماً التالية اشتغل فى جامعات مختلفة ، عالمًا من العلماء النابهين ، وفى عام ١٨٨٨ عُين أستاذًا للفيزياء ومديرًا لمعهد الفيزياء فى جامعة فيرتسبورج .. حيث أجرى طائفة من الأبحاث العلمية المختلفة ، شملت فيما شملت موضوع الجاذبية الشَّعرية وفعلها الشّعرى فى السوائل (Capillory action) ، وموضوع المرونة (Elasticity) وموضوع الحرارة النوعية فى الغازات .. وموضوع خاصية ايصال الحرارة (Conduction) فى البلورات ، أو الزجاج البللورى (Crystals) .

ولكن أبحاثه الخاصة بالتيار الكهربائى وسريانه عبر أنبوب زجاجى مفرغ من الهواء إلى حد ما .. طغت على كل ما سواها .. نظرًا للنتيجة التى تمخضت عنها بالصدفة .. اكتشاف أشعة إكس .

كان ذلك فى ٨ نوفمبر ١٨٩٥ ، حين كانْ رونتجن منهمكًا فى إجراء تلك التجارب فى مختبره المظلم .. فقد لاحظ العالم فجأة ضوءًا أخضر ينبعث من قطعة من الورق المقوى (الكرتون) كانت موجودة فى الجانب الآخر من المختبر .. وكانت هذه القطعة مطلية بمادة وضاءة (Luminiscent) لا يكاد يسقط الضوء عليها حتى تتألق بذلك الضوء الأخضر الغريب .. ولكن مختبره لم يكن مضاءً .. بحيث لاح للعالم احتمال أن يكون الأنبوب الزجاجى الذى كان يجرى تجاربه عليه هو مصدر ذلك الضوء .. وما أسرع ما أوقف التيار الكهربى الواصل إلى ذلك الأنبوب فاختفى الضوء الأخضر .. وما لبث هذا الضوء أن عاد إلى الظهور لدى إعادة التيار إلى الأنبوب الزجاجى الذى ذكرناه ، والذى لم يكن أنبوبًا عاديًا ، وإنما أنبوب أشعة كاثودية (Cathode ray tube) ، وقد انبعثت هذه الأشعة من الأنبوب بفعل التيار الكهربائى الواصل إليه .. ولم يظهر منها شىء عند انقطاع التيار .. واستنتج رونتجن أن هذه الأشعة الكاثودية أو الألكترونات هى التى تسببت فى تألق الضوء الأخضر خلفه لولا سقوطها على جدار الأنبوب الزجاجى واختراقها إياه قبل سقوطها على الكرتون ؛ بل على المادة الكيماوية التى طُليت بها .

ثم وضع العالم يده حاجزًا بين الأنبوب وبين قطعة الكرتون ، وإذا بصورة يده تنعكس على قطعة الكرتون .. ولكن بعظامها دون لحمها وجلدها .. وشعر رونتجن بالحيرة والدهشة وتساءل : تُرى .. ما هى تلك الأشعة التى لا يذكر لها سابقة والتى لم يكن يدرى عنها شيئًا ؟ فهى إذًا أشعة مجهولة .. أشعة إكس .. وحرف (X) فى اللغات الأجنبية يرمز إلى المجهول كما هو معروف .

ومضى العالم يجرى تجاربه ، فتبين له بأن ثمة مواد أخرى شفافة ، ولا تقف حاجزًا فى طريق تلك الأشعة .. ونذكر من تلك المواد على سبيل المثال : الورق والخشب والألمونيوم ، وتبين له أيضًا أن لتلك الأشعة أثرًا فى ألواح أو صفائح التصوير الفوتوغرافى ؛ ولكنه لم يكتشف صلة تلك الأشعة الوثيقة بالضوء ؛ بل ظن أنها لا تمت لها بصلة ، وقد افتقرت إلى خصائصه المعروفة كالانعكاس والانكسار وما إلى ذلك .

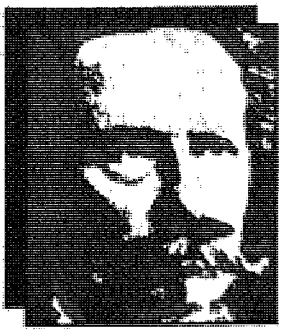
وجاءت سنة ١٩٠١ ، وإذا برونتجن يفوز بجائزة نوبل فى الفيزياء ، وذلك تقديرًا لاكتشافه الأشعة السينية .. وكانت جائزته تلك جائزة نوبل الأولى فى الفيزياء .. ويعجب المرء أكثر ما يعجب لامتناع رونتجن عن تسجيل اكتشافه .. لقد أحدث انقلابًا فى عالم الطب ، ومكن الإنسان من مشاهدة ما فى داخل جسمه .. ولكنه أحجم عن تسجيل اكتشافه وعن قطف ثماره الطيبة التى جناها الذين جاؤا بعده .

وبسبب ذلك مات فقيرًا معدمًا فى ١٠ فبراير ١٩٢٣ .. ولم يكن له أولاد إذ تبنى هو وزوجته إحدى الأطفال .

ويستحق رونتجن عظيم الشرف والتقدير بسبب هذا الاكتشاف .. فقد عمل به وحده ، ولم يكن له مساعد ولا شريك .. ثم إن هذا الاكتشاف كان الحافز الأول للعالم الفرنسى بيكريل لاكتشافه خاصية الإشعاع .

★ ★ ★

كـــارل بنـــز
(١٨٤٤ـ ١٩٢٩)
جوتليب ديملر
(١٨٣٤ـ ١٩٠٠)
مخترعا السيارة



لقد صادف يوم ٢٦ يناير ١٩٨٦ ، العيد المئوى الأول لاختراع السيارة .. فقد تم تسجيل هذا الاختراع الخطير فى ٢٦ يناير ١٨٨٦ .. والسيارة هى بلا منازع أبرز ظاهرة يتميز بها القرن العشرون عن كافة القرون التى سبقته .. إنها بصمته الفارقة .. وهى تفوق فى ذلك الطائرة والسفينة والقطار وسائر منجزاته الأخرى .

بدأت القصة فى بلدة (كارلز ومن) فى ألمانيا الغربية .. قبل أكثر من ١٥٠ عامًا .. فقد ولد فى تلك البلدة وفى عام ١٨٤٤ وبالتحديد ، مخترع السيارة كارل بنز .

كان مهندسًا ميكانيكيًا ، شد اهتمامه فى الستينات من القرن الماضى محرك يعمل بالاحتراق الداخلى .. وكان ذلك المحرك من إنتاج مصنع فى باريس ، يملكه المهندس البلجيكى الذى اخترع ذلك المحرك ، واسمه ايتين لانوار .

وتجدر الإشارة إلى أن عربات الخيول هى العربات الوحيدة التى عرفها الناس فى تلك الأيام .. ومنذ أقدم الأزمان .. وأن العلماء والمخترعين طالما فكروا أو حلموا بتسيير العربات بمحركات تعمل بالاحتراق الداخلى .. بدلاً من جرها

بواسطة الخيول .. لا عجب إذن أن احتضن المهندس الألمانى كارل بنز ذلك المحرك البلجيكى / الفرنسى ، وكرس نفسه لتطويره وتحسينه ، وأنفق فى سبيل ذلك كل أمواله .. غير أن جهوده تكللت بنموذج ناجح .. كفل له اجتذاب المال اللازم لإنشاء مصنع له فى مدينة منهايم .. وتطوير المحرك الذى ذكرنا ، بحيث يستطيع تسيير عربة خيول بدون خيول .

وجاء عام ١٨٨٥ ، وإذا بذلك المصنع يصنع تلك العربة ، ويستكمل تطوير المحرك .. ونجح الاختراع .. إلا أن تسجيله رسميًا تأخر حتى ٢٦ يناير من عام ١٨٨٦ .

على أن عربة بنز تلك كانت متواضعة .. فقد قامت على ثلاثة دواليب ، لا أربعة .. تمامًا كعربات الخيول مع فارق واحد ، هو أن عربة بنز لم يجرها حصان وإنما سارت بفعل محرك يعمل بالاحتراق الداخلى .. ويعتمد البترول وقودًا .. ولكن قوته كانت محدودة ولم تزد السرعة التى أتاحها للعربة على ٨ أميال .. وقل مثل ذلك فى القابض والواصل (clutch) وفى جهاز نقل السرعة (gear) .. فقد كانت ضعيفة وذات عيوب بينة .. ويبدو أن كارل بنز لم ير فى عربته أكثر من مجرد عربة خيول تسير بمحرك تلقائى ، ودون أن تجرها خيول .. وقد أخفى محركها تحت مقعد السائق .. بيد أن التاريخ رأى فى تلك العربة أول سيارة عملية عرفها العالم .

وشاءت الأقدار ألاّ يكون كارل بنز وحيدًا فيما تطلع إليه من طموحات ، وما بذله من جهود .. فقد اتفق أن كان مهندس ميكانيكى آخر يقوم بمثل تجاربه .. فى نفس وقته ، وفى نفس منطقته من ألمانيا .. المهندس ديملر .

ولد جوتليب ديملر فى بلدة شورندروف بمدينة شتوتجارت .. لأبوين ميسورى الحال .. بحيث فاق نظيره كارل بنز فى التعليم النظرى والتدريب العملى .

وركز ديملر على محرك الاحتراق الداخلى كما فعل كارل بنز ؛ بل أكثر مما فعل .. فانضم إلى المخترع المعروف آنذاك نيكولاس أوتو مساعداً وشريكاً فى مصنع أنشأه فى كولن عام ١٨٨٢ .. ومن أجل اختراع وضع المحركات التلقائية .. ونجح أوتو فى صنع المحرك الرائد الذى يعمل بالاحتراق الداخلى .. ويعتمد الغاز لا البترول وقوداً .. على غرار المحرك البلجيكى السالف الذكر .. وما لبث ديملر أن أحرز نجاحاً كبيراً فى تطوير المحرك الذى صنعه أوتو ، فجاء محركه أكثر كفاءة وأخف وزناً .. وجعل وقوده البترول بدلاً من الغاز .

وراح ديملر بعد ذلك يقوم بالتجارب التطبيقية على محركه .. جربه على دراجة ذات دولابين ثم على قارب نهرى .. وأحرز النجاح فى تجاربه كلها .. ثم أقدم ديملر على صنع سيارة لذلك المحرك تليق به ويليق بها .. وكان ذلك فى عام ١٨٨٦ وهو نفس العام الذى سجل كارل بنز اختراعه فى مطلعه .

بيد أن سيارة ديملر لم تكن عربة خيول .. بل كانت سيارة بالمعنى الدقيق .. تسير على أربعة دواليب ، وبسرعة بلغت ١١ ميلاً فى الساعة ، ثم تضاعفت حتى أصبحت ١٨ ميلاً فى الساعة .. وكانت أجهزتها قوية .. الواصل وجهاز نقل السرعة و ... إلخ .

لا غرابة إذن أن أقدم الكثيرون على شراء الترخيص لصنع محرك ديملر .. سواء فى ألمانيا أو بريطانيا أو فرنسا .. وكان من بينهم كارل بنز نفسه .

وأسس ديملر شركته الخاصة بصنع السيارات عام ١٨٩٠ ، وباشرت هذه الشركة صنع السيارات باسم « مرسيدس » ، اعتباراً من عام ١٩٠١ ، وقد أطلقوا عليها هذا الاسم تكريماً للآنسة مرسيدس جلينك ، ابنة شريك ديملر ومموله النمساوى (إميل جلينك) ، ومن طريف ما يذكر أن المهندسين ديملر

وبنز لم يجتمعا أبدًا .. هذا على الرغم من أن شركتيهما اندمجتا عام ١٩١١ فى شركة واحدة ، هى شركة مرسيدس بنز الحالية .

بقى أن نذكر أن الألمان وإن كانوا ذوى فضل لا يُنكر فى اختراع السيارة ، فقد احتاجوا إلى جهود الفرنسيين لتحسين شكل السيارة .. وإلى الأمريكان .. وهنرى فورد بالتحديد ، لجعل السيارة فى متناول الجميع ، وقد كانت وقفًا على المغامرين وهواة الرياضة والسباق .

أما الإنجليز فكانوا خارج الحلبة .. بل إن حكومتهم سنت قانونًا غريبًا يُعرف باسم « قانون الراية الحمراء » ، عمل على عرقلة المساعى لاختراع السيارة وصنعها .. فقد حظر ذلك القانون على العربات السير بسرعة تجاوز ٤ أميال فى الساعة .. وألزمها بتوظيف رجل يسير أمامها ويحمل راية حمراء ، لينذر الناس فى الحقول والشوارع بأن العربة الخطيرة ذات المحرك الخطير توشك على الوصول .. ولسان حاله يقول : « لقد أعذر من أنذر » .

★ ★ ★



قاسم أمين

(١٨٦٣-١٩٠٨)

رجل أثار ضجة

ولد قاسم محمد أمين فى ١٨٦٣/١٢/١ ، بقرية طرة من ضواحى القاهرة ، حيث كان يقطن والده الأميرلاى (العميد) محمد أمين بك ، الضابط بالفرقة العسكرية هناك .

تدرج فى الدراسة الابتدائية والثانوية ثم مدرسة الإدارة ، وبعد أن حصل على إجازته الدراسية منها فى ٢٤ أكتوبر ١٨٨١ ، سافر فى بعثة حكومية إلى فرنسا فى نهاية صيف ذلك العام ، وأتم دراسته فى كلية حقوق « مونبلييه » ، وعاد إلى مصر فى أواخر عام ١٨٨٥ ، بعد حصوله على ميدالية الشرف فى العلوم الجنائية .. وعمل مساعداً للنيابة المختلطة فى ١٨٨٥/١٢/١ .

ثم انتقل إلى أقسام قضايا الحكومة عام ١٨٨٧ ، بعد أن كانت وظائفها مقصورة على الأجانب .

وبعد ذلك ، عُين رئيساً لنيابة بنى سويف عام ١٨٨٩ ، ثم نُقل إلى نيابة طنطا رئيساً لها فى مارس ١٨٩١ .

اتسم سلوكه بالوطنية والإقدام والإخلاص فى عمله ، وظهرت مواهبه تلك مشفوعة بمواهب قانونية فذة .. وما إن علم « عبد الله النديم » - خطيب الثورة العرابية - بوجود رئيساً لنيابة طنطا ، حتى سارع وقدم نفسه إليه .. فهب

قاسم أمين ولقيه فى ترحيب .. وكان الإنجليز قد حكموا عليه بالإعدام بسبب مظاهرته للثورة العرابية .

وقد صحبه قاسم أمين إلى القاهرة ليلتمس له العفو ، اكتفاءً بما ذاقه من عذاب القيد والإرهاب من عام ١٨٨٢ حتى عام ١٨٩١ .. وكان المرحوم « رياض باشا » رئيسًا للوزراء ووزيرًا للداخلية وقتها ، فاستجاب لرجاء قاسم أمين ، الذى لم يعد إلى مقر عمله بطنطا إلا بعد أن صدر العفو عن عبد الله النديم ، كما منحه رياض باشا من جيبه الخاص ٥٠٠ جنيه ليصلح بها شأنه ، وصرح له بإصدار صحيفة الأستاذ .

وفى ٢٦ يونيو عام ١٨٩٢ ، عُين قاسم أمين مع سعد زغلول باشا نائبا قضاة بمحكمة الاستئناف بأمر خديوى واحد ، ثم أصبحا مستشارين بعد ذلك ، وجُعل راتب قاسم أمين وسعد زغلول ١٠٠٠ جنيه عام ١٩٠٦ .

ولم يقتصر نشاط قاسم أمين على جهده القضائى ؛ بل تشعب نشاطه وجهاده ، فكان مستشارًا ومؤلفًا بالفرنسية والعربية ، وداعيًا لتحرير المرأة ، وكان بحق المُعلم الأول فى سبيل ذلك ، وأول صوت ينطلق فى الوجود العربى جريئًا لتحرير المرأة من الجمود الذى أحاط بها ردحًا من الزمن .

كما كانت له أبحاث فى الشريعة الإسلامية ، وأسهم فى إنشاء الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ، وفى إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية ، وغير ذلك من جلائل الأعمال .

وفى حياته القضائية كان مثلاً يُحتذى ، علمًا ودراية وسموًا وجلالاً .. وفى ٢٥ أبريل عام ١٩٠٨ توفى قاسم أمين فجأة ، وكان زملاؤه ينتظرونه فى محكمة الاستئناف العليا ليقضى فى شأن الناس .

وكان من الممكن ألا يعرف أحد قاسم أمين ، أو يسمع به ، لولا تلك الصيحة التى أطلقها فى أوائل هذا القرن ، ودعوته إلى « تحرير المرأة » كما ادعى ، وقد أصدر كتابين فى ذلك هما : تحرير المرأة عام ١٨٩٩ ، ثم المرأة الجديدة عام ١٩٠٠ .. وقد أثار الكتابان جدلاً واسعًا وقتها ، ومناقشات حادة ، وجلبت هذه الدعوة خصومات واستنكارات شديدة لقاسم أمين لم يكن يتوقعها ، خاصة وأنه قد دعا فيها برفع الحجاب عن المرأة ! .

ونختم هنا موجز سيرته ببعض الكلمات التى تعبر عن فكره والتى أوردها فى كتابه « المرأة الجديدة » .

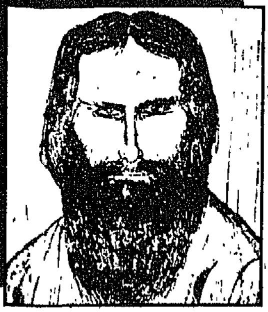
يقول قاسم أمين : « أما إذا كان المقصد هو ما نقرأهُ ونسمعه كل يوم من أن المصريين يريدون أن يكونوا أمة حية راقية متمدنة ، فلنا أن نقول لهم : توجد وسيلة تخرجكم من الحالة السيئة التى تشكون منها ، وتصعد بكم إلى أعلى مراتب التمدن ، كما تشتهون ، وفوق ما تشتهون ، ألا وهى تحرير نسائكم من قيود الجهل والحجاب .. هذه الوسيلة نحن لم نبتكرها ، وليس لنا فضل فى اختراعها ، فقد استعملتها أمم من قبلنا وجربتها وانتفعت منها » .

★ ★ ★

راسبوتين

(قتل عام ١٩١٦)

الشيطان المقدس



راسبوتين Rasputin هو اللقب الذى أطلق على الراهب « جريجورى نوفيخ » ، ومعناه « الشيطان المقدس » أطلقه عليه أحد خصومه الألداء وهو القس الراهب « إليودور » ، وجعله عنوان رسالة ألفها فى التشهير براسبوتين والنعى عليه .. وكان للاتهامات التى شملتها الرسالة أثر كبير فى خلق تلك الصورة التى يظهر فيها راسبوتين رجلاً خبيث الطوية ، سيىء المكر ، والسبب الرئيسى فى انهيار الحكم القيصرى فى روسيا .

ولد جريجورى نوفيخ أو راسبوتين فى سيبريا لأب كان من صغار المزارعين ، وكان إلى جانب عمله فى الزراعة يقوم بتربية الخيل ، فنشأ راسبوتين محبًا للخيل ، وميالاً إلى القراءة فى الكتاب المقدس .. ولما اكتمل نموه وصلب عوده قبله الأب « بيوتر » قس الناحية ، بالرغم من إقباله على الشراب وتصيده للفتيات .. ثم تزوج وأنجب أطفالاً فى كنف والده .

وفى الثالثة والثلاثين من عمره ، ذهب إلى أحد الأديرة ، وظل هناك لمدة عام أو أكثر ، ثم تركه ليباشر مهمة التبشير بتعاليم الإنجيل فى روسيا .. وكان راسبوتين معتنقًا لمذهب « الكلستى Khlysty » ، وهو مذهب يرمى إلى التخلص

من الخطيئة بالانغماس فيها ثم الندم فى أعقاب ذلك على اقترافها ! .. وقد كان له جاذبية وسحر وتأثير كبير فى كل من يقابلهم ، خاصة النساء ورجال الدين .

وقد ذاعت شهرته فى روسيا كلها ، وأصبح له نفوذ كبير ، ثم استعان به قيصر روسيا « نيقولا الثانى » كى يعالج ابنه ، ولى العهد .. وبالفعل عالجه راسبوتين ، وقويت بذلك علاقته بالقيصر والقيصرة .. وبسط عليهما وعلى القصر وعلى روسيا بأكملها نفوذه .

وعُرف عنه أنه يقبل الرشاوى ، وأنه يمكن الاستفادة إلى أقصى حد من نفوذه العظيم فى البلاط القيصرى عن طريق النساء وزجاجات النبيذ ، وكان يشترك فى الحفلات الماجنة ، والسهرات الداعرة فى أندية بطرسبرج الليلية ، وكان يسرف فى الشراب ، ويرقص وهو ثمل ومجرد من الثياب .. وشاعت الأحاديث عن فضائحه ومخازيه ؛ وبرغم ذلك كله ظل القيصر يحمى ظهره ، ويرفض الاستماع إلى الذين يوشُون به ويكشفون مساوءه .. وقد أثار ذلك حسد الحاسدين ، وغيظ الكثيرين ، وكثر أعداءه من السياسيين ورجال الدين .

وبالفعل قام الأمير الروسى « يوسيبوف » - الذى كان متزوجًا من إحدى قريبات القصر - بتدبير مؤامرة لقتل راسبوتين ، فقد كان فى رأيه أنه قد أفسد النساء ، وأفسد الساسة والقساوسة ، وفوق كل شىء أفسد روسيا برمتها .

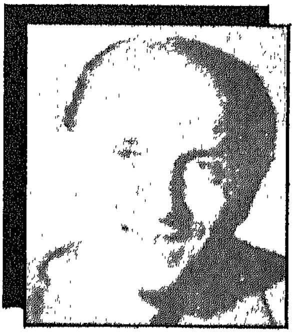
فدعاه إلى بيته بعد العشاء ، وكان قد أعد المكان تمامًا لذلك واستعان ببعض الأصدقاء ، وقدم له شطائر من الحلوى بها بعض من سم السيانيد ؛ لكنها لم تؤثر فى راسبوتين بعد أن أكلها ! ؛ لأنه قد تعود أن يتناول كميات قليلة من السم باستمرار لكى يتعود عليه ، ويسلم من شر أعدائه .. ثم قدم له الأمير بعض النبيذ المسموم ، فشربه ولكنه لم يؤثر فيه كالشطائر ! .

ولما رأى أصدقاء الأمير – وكانوا يختبئون فى أحد غرف القصر – أنه ليس للسم أى تأثير عليه ، هجموا على راسبوتين وأطلقوا عليه الرصاص ، فأصابوه قرب القلب وفى الرأس ، ثم أحكموا وثاقه ، وألقوا بجثته فى نهر « نيفا » بعد أن ثبتوها بالأثقال .. وكان ذلك فى ٣٠ ديسمبر ١٩١٦ .

بيد أن التحليل الذى أُجرى للجثة بعد ذلك أثبت أن راسبوتين لم يمت لا بالسم ولا بالرصاص ، بل مات غرقًا عقب إلقاء جثته فى مياه النهر ! .. فقد تسرب الماء إلى رئتيه عن طريق التنفس وتسبب فى موته .

ومن طريف ما يذكر أن قاتل راسبوتين ، فيلكس يوسيبوف ، كان قد هاجر إلى الولايات المتحدة ، وأقام بها .. وحدث أن أقام دعوى قضائية على شركة « كولومبيا » السينمائية الأمريكية ، يطالبها فيها بدفع مليون ونصف مليون دولار كغرامة مالية ! .. والسبب فى ذلك هو أن هذه الشركة قد عمدت إلى إخراج فيلم عن راسبوتين ، يصور مقتله على يد هذا الأمير دون أن تحصل على موافقته المسبقة فى هذا الصدد ! .

★ ★ ★



لاديسلاو بيرو

(١٩٠٠ـ)

مخترع
قلم الحبر الجاف

لاديسلاو جوزيف بيرو ، هو مخترع قلم الحبر الجاف الذى انتشر استعماله وشاع فى مشارق الأرض ومغاربها .

كان صحفيًا وفنانًا من المجر .. ويتردد على المطابع بحكم أعماله الصحفية .. واسترعى انتباهه ذات يوم الحبر الذى تستعمله المطابع والسرعة التى يجف بها هذا الحبر .. وراح يفكر فى كيفية استعمال مثل ذلك الحبر فى أقلام الكتابة .

ونجح بيرو فى أواسط الثلاثينات فى ابتكار قلمه الجاف الأول الذى يكتب دون أن يلطخ الصفحة ببقع من حبره .. وبدأ إجراءات تسجيل اختراعه رسميًا عام ١٩٣٨ .

ولكن الحرب العالمية الثانية التى اندلعت عام ١٩٣٩ حالت دون استكمال تلك الإجراءات وحصول بيرو على براءة اختراعه .. وهجر العالم وطنه إلى فرنسا فأسبانيا فالأرجنتين .

وفى مطلع الأربعينات تعاون بيرو مع أخيه (چورج) الكيميائى على ما يمكن إجراؤه من تحسينات على قلمه .. ثم عهد لأحد المصانع فى بوينس أيرس عاصمة الأرجنتين بإنتاج قلمه على نطاق واسع .

ولكن بيرو ما لبث أن باع حقوقه فى اختراعه إلى أحد مموليه .. وانطلق هذا الأخير فى إنتاج القلم الجاف بقصد توزيعه على أفراد القوات البريطانية والأمريكية .

وانتقلت ملكية قلم بيرو بعد ذلك إلى الشركة الفرنسية الكبيرة بِك (Bic) .. وما أسرع ما مضت هذه الشركة فى صنع القلم على أوسع نطاق ممكن وبيعه فى شتى بلدان العالم ، حتى بلغ ما تنتجه الشركة الفرنسية من القلم الجاف ١٢ مليون قلم أو يزيد فى اليوم الواحد .. وأصبح الاسم الذى يعرف به القلم Bic ، لا بيرو .. وانطوى ذكر المخترع كما انطمس اسمه .. ولا يُعرف عنه إلا أنه مازال يعيش فى أمريكا الجنوبية وأنه يشعر بالحسرة والمرارة كلما ذكر اختراعه وذكر المردود الضئيل الذى عاد عليه به .. والأرباح الخيالية التى جنتها ومازالت تجنيها شركة Bic من قلمه الجاف .

★ ★ ★

المصـــــادر

- **عمالقة ورواد** : أنور حجازى ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- **الخالدون مائة** ، أعظمهم محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : أنيس منصور ، دار الزهراء للإعلام العربى .
- **دائرة معارف الشعب** ، الجزء السادس ، دار الشعب .
- **هؤلاء علموني** : سلامة موسى ، دار المعارف .
- **مجلة العربي** : تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت .
- **قراءات واطلاعات أخرى شخصية .**

ت ٩٣٢٧٠٦

موسوعة المشاهير



المعرفة مفتاح الحقيقة ، وبدونها لا يرجى ولا يمكن تحقيق أى تقدم أو إنجاز ، ولأن طريق المعرفة والتفكير العلمى والثقافة المستنيرة ، صعب وشاق ، كان لزاماً على من يرتاده أن يتسلح بالصبر والمثابرة .

واستمراراً لسياسة **دار الأمين** فى الأخذ بيد الشباب ، المتعطشين للمعرفة ، الباحثين عن أسباب التفوق العلمى ، نقدم العدد الأول من موسوعة المشاهير ، رجالاً ونساءً ، من بلدان مختلفة ، وثقافات متباينة ، وفترات زمنية متباعدة ، ومجالات بحث واجتهادات إنسانية نافعة ، ولكن القاسم المشترك بينهم جميعاً ، هو حب العلم والمعرفة ، والإصرار على النجاح ، والأخذ بالأسباب ، والمثابرة ، وحسن اختيار القدوة .

ومن بين من نقدمهم فى هذا العدد : العقاد ، جاليليو ، غاندى ، هيلين كيلر ، ألفريد نوبل ، جراهام بل ، جوتنبرج ... وغيرهم .. نموذجاً يُحتذى لأبنائنا ولكل من ينشد المجد والشهرة والخلود .. له ولوطنه .

والله من وراء القصد ...

الناشر

دار الأمين
DAR AL AMEEN

طبع
نشر
توزيع

١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفى) – القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦
١ ش سوهاج من ش الزقازيق (خلف قاعة سيد درويش) الهرم – الجيزة
٨ شارع أبو المعالى (خلف مسرح البالون) العجوزة ت : ٣٤٧٣٦٩١